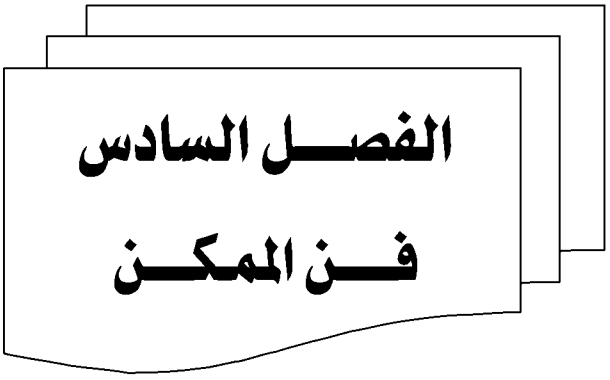
الفصـــل السادس
فـــن الممكـــن

وبينما فقدت قيادة المنظمة الصهيونية في ألمانيا فاعليتها نتيجة لهزيمة الألمان في الحرب العالمية الأولى، برز نجم الأستاذ الجامعي الروسي الأصل الدكتور "حاييم وايزمان"، الذي صار يقيم في بريطانيا وأصبح زعيم الموقف، فقد انشأ وايزمان مع رفاقه لجنة سداسية ضم إليها اثنين من اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية، وحاول التفاوض مع بريطانيا بخصوص المشروع الصهيوني مقابل دعم اليهود لها في الحرب واستخدام نفوذ اليهود في أمريكا لدفع الولايات المتحدة لدخول الحرب إلى جانب بريطانيا، وفي هذا برز أيضًا الزعيم الصهيوني "لويس براندیس (١٨٥٦ - ١٩٤١)" في أمريكا، ومن الدور الذي لعبه كل من وايزمان وبرنديس وآخرين والتنسيق بينهم، نجحت المنظمة الصهيونية في استصدار وعد بلفور من بريطانيا في ٢ نوفمبر ١٩١٧م بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وحظي بموافقة حلفاء بريطانيا في الحرب، الولايات المتحدة التي دخلت الحرب في مارس ١٩١٧م، وكذلك فرنسا وإيطاليا.

لقد توافق الاحتلال البريطاني لفلسطين (١٩١٧ - ١٩٤٨م) تقريبًا مع زعامة وايزمان الفعلية للمنظمة الصهيونية (١٩٢١ - ١٩٤٦م)، وراح المشروع الصهيوني ينطلق إلى آفاق أرحب بعد أن حصل على البراءة الدولية التي كان يحلم بها هرتزل، وفتحت بريطانيا أبواب الهجرة والاستيطان اليهودي، وعمل على بناء المؤسسات السياسية والاقتصادية والتعليمية والاجتماعية الصهيونية في فلسطين، وغضَّت بريطانيا الطرف عن التشكيلات العسكرية السرية لليهود الذين أصبحوا عمليًا دولة داخل دولة.

ولم تفوِّت الحركة الصهيونية الفرصة، فقد ذهبت لجنة صهيونية برئاسة وايزمان إلى فلسطين في إبريل ١٩١٨م، وشكلت جهازًا إداريًا لليهود فيها، استوعب أمور السياسة والاستيطان، والإغاثة والزراعة والتجارة والصناعة والهجرة والمالية والتعليم والعمل، وعلى الرغم من أن يهود أوروبا عانوا من السياسات الهتلرية النازية ضدهم خلال الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ - ١٩٤٥، إلا أن المشروع الصهيوني في فلسطين كان هو المستفيد الأول من ذلك، إذ أن المنظمة

الصهيونية العالمية تابعت عملها بصورة فعالة، ووجدت في الاضطهاد النازي مبررًا ودافعًا قويًا للدعاية للمشروع اليهودي في فلسطين، وتمكنت من تضخيم صورة المعاناة اليهودية، وجعلها عقدة أساسية في الشعور واللاشعور الغربي، وظل السؤال الذي لم يجد جوابًا: لماذا يدفع الفلسطينيون فاتورة اضطهاد أوروبا لليهود؟

لقد حققت المنظمة الصهيونية هدفها بإنشاء كيان لليهود في فلسطين وبرز بذلك سؤال واضح عن مبرر استمرار وجود هذه المنظمة، كان بن جوريون صهيوني "استيطاني"، يرى أن دور المنظمة قد انتهى، وركّز هذا التيار على مركزية "إسرائيل" في الحياة اليهودية واستقلالها عن هيمنة المنظمة الصهيونية العالمية.

أما التيار الصهيوني في الخارج "التوطيني" فكان يرفض فكرة الهجرة إلى فلسطين رغم إيمانه بأهمية ذلك، وكان يؤكد أن المنظمة الصهيونية هي التي صنعت "إسرائيل"، وهي قادرة بحكم وجودها في الخارج على القيام بمهمات صهيونية لازمة لا تستطيعها الدولة الإسرائيلية لأسباب كثيرة، ولا بد للمنظمة الصهيونية من المشاركة في صنع القرار السياسي الداخلي والخارجي للدولة، ولابد من تحقيق المساواة بين "إسرائيل" والمنظمة الصهيونية العالمية، التي يجب أن تمنح وضعًا خاصًا يضمن لها التأثير في عمليات التخطيط والتنفيذ الصهيونية والإسرائيلية فتكون إسرائيل هي الجسد للشعب اليهودي والصهيونية هي الروح، إلا أن الأمر قد نفذ سنة ١٩٦٨م عندما حُسمت المعركة لصالح تيار صهيونيِّي الداخل، واستقال ناحوم جولدمان من رئاسة المنظمة، ولكن حالة التوتر والجدل لم تكن تعني شلل العمل، وإنما أمكن التوصل دائمًا إلى حلول توفيقية في دعم المشروع الصهيوني، في سنة ١٩٥٤ م تمكن تيار الداخل من تثبيت هيمنته الفعلية وظل تيار صهيوني الخارج يتراجع تدريجيًا إلى أن أصبحت المنظمة الصهيونية سنة ١٩٦٨م أداة في يد "إسرائيل" بعد أن سلبت "إسرائيل" المنظمة الصهيونية من أهم اختصاصاتها وهو "استيعاب المهاجرين"، عندما استحدثت وزارة الاستيعاب.

هذا، ويختلف الباحثون العرب والمسلمون في النظر إلى حقيقة الصهيونية، فالبعض ينظر إليها بوصفها إفرازًا من إفرازات الاستعمار الغربي وأداة من أدواته، والبعض يراها مشروعًا اقتصاديًا غربيًا، والبعض يرى فيها وسيلة يهودية - أوروبية لحل المشكلة اليهودية في العالم الغربي، والبعض يراها تعبيرًا عن الأماني الدينية أو القومية أو الثقافية اليهودية، ويرى كثير من أبناء التيار الإسلامي أن الصهيونية ببساطة هي اليهودية نفسها بما تحمله من جذور عداء وصراع مع الإسلام، ورغم أن هذا قد أتينا عليه قبل قليل ولم يجف الحبر بعد، فإنه لا بأس أن نوسعه تحليلاً أعمق واستفاضة أكثر.

الإجابة قطعًا لن تكون سهلة هذه المرة، لأن السؤال ليس سهلاً من ناحية عمقه وكثرة مسارب الإجابة المحتملة، وفي الحقيقة هناك إجابتان ستتطابقان في النهاية مهما ابتعدتا خلال الإتيان بهما، إحدى الإجابتين إذا أردنا أن نختصر، هي أن الصهيونية ليست اليهودية لأنها حركة تقوم على جهد بشري، والبشر طبعًا يمكنهم فهم الدين والتعامل معه، الصهيونية هي حركة قائمة على الجهد البشري الذي يمكن أن يفهم الدين اليهودي أو يتعامل معه وفق أشكال ودرجات متفاوتة، فكما أننا لا نستطيع القول إن حزب الكتائب المسيحي اللبناني أو الحزب الديمقراطي المسيحي الألماني هما المسيحية ذاتها، فكذلك لا نستطيع أن نقول إن الصهيونية هي اليهودية، فليس كل من يعمل لمصلحة اليهود هو يهودي متدين، لأن هناك من يخدم أبناء دينه بدوافع الانتماء القومي أو الحضاري، الصهيونية ليست اليهودية والدليل الآخر أن بعض اليهود الذين لا يؤمنون بالصهيونية، وهم وإن كانوا قلة قليلة إلا أنهم موجودون، كجماعة "ناتوري كارتا" مثلاً، التي ترفض الاعتراف بالكيان الصهيوني، لأنهم يرون انتظار المسيح الخاص باليهود وأن عودته مرتبطة بالإرادة الربانية، ولا يجوز فرضها أو التعجيل بها كما تم إنشاء إسرائيل بالقوة.

الإجابة الثانية يمكن تصورها، بأنها الفكرة المركزية في الأيديولوجية الصهيونية التي توجب الامتزاج والتداخل الكامل بين القداسة والقومية، وهي تعبِّر عن نفسها في الإنسان والمكان والزمان، وأهم عناصرها الإنسان أي الإنسان المقدس أو الشعب اليهودي المقدس، لهذا نجد أن رؤية اليهود بوصفهم شعبًا مقدسًا تتكرر في مقولات هرتزل "الليبرالي"، وبن جوريون العمالي الاشتراكي، وبورخوف الشيوعي، وإن كانت تتخفى دائمًا تحت "ديباجات" مراوغة، فالحركة الصهيونية قدمت نفسها امتدادًا لليهودية وليس نقيضًا لها، واستخدم الصهاينة وحتى الملاحدة منهم مقولات دينية، وتعاملوا مع دينهم اليهودي بروح أكثر إيجابية وانفتاحًا، كان "ماكس نوردو" القيادي الصهيوني الكبير الذي كان مقربًا إلى هرتزل، وترأس المنظمة الصهيونية أو كان في البداية نائبًا للرئيس لعدد من المؤتمرات الصهيونية ويعتبر ملحدًا، كان قد قال عن اليهودية، إنها مصدر الطاقة للبناء.

وبإيجاز شديد نقول، بإن المنظمة الصهيونية تتكون من عدة تيارات أو مدارس، وكلها في النهاية تلعب أدوارًا متكاملة، وفي نهاية المطاف لها نسق أيديولوجي واحد، هو حل المشكلة اليهودية التي هي نقطة البداية والنهاية للجميع، أما المحتوى الاجتماعي للدولة فهو مسألة مؤجلة، سيجد لها حلاً، رعايا الدولة أنفسهم بعد قيامها.

الأول: الصهيونية السياسية، التي كان زعيمها الأول تيدور هرتزل وهي التي سعت إلى تحويل المشكلة اليهودية إلى مشكلة سياسية دولية، وهي ترى أن اليهود شعب ذو قومية محددة، وهو غير قادر في الاندماج في المجتمعات الأخرى، ولا بد أن تكون له دولته.

الثاني: هو الصهيونية التصحيحية أو التنقيحية، هي استمرار للصهيونية السياسية، ويعد "فلاديمير جابوتنسكي" المنظّر الأساسي لها، وهي تُغلّب الجانب القومي على الجانب الديني، وتؤكد على العنف كوسيلة للتعامل مع الفلسطينيين.

الثالث: الصهيونية العمالية "الاشتراكية"، التي تـدَّعي أن التركيـب الاجتمـاعي والحضاري اليهودي مختلف عن غيره، وبالتالي فهو غير قادر على الاندماج مع الأوساط الأخرى، لهذا هي تدعو إلى برنامج عمل قائم علـى تحقيـق الأهـداف الصهيونية على أسس اشتراكية.

الرابع: هو تيار "أهارون جوردون (١٨٥٦ - ١٩٢٢)" الذي ركَّز علـى الجانـب النفسي، وإلى اقتحام الأرض والعمل، على أكتاف هذا التيار قام البناء الاقتصادي والسياسي الفعلي للكيان الصهيوني، فقد ركز على الجانب العملي فـي الهجـرة والاستيطان وبناء المؤسسات والقوة العسـكرية فكـان مـن نتاجـه تأسـيس الهيستدروت والمستوطنات الزراعية (الكيبوتسات)، وقـوات الهاجانـاه، وهـي الأدوات التي استخدمت لإنشاء الدولة الصهيونية.

الخامس: الصهيونية الدينية، وهي تغلِّب الجانب الديني على الجانـب القـومي، وتسعى لتطبيق الشعائر اليهودية والشرائع السماوية والاحتكام إلى التوراة.

السادس: الصهيونية الثقافية، وهي ترى أن الخطر الحقيقي الذي يهدد استمرارية اليهودية هو فقدان اليهود للإحساس بالوحدة والترابط وضعف تمسكهم بقـيمهم وتقاليدهم، أبرز دعاة الصهيونية الثقافية هو آشر غينزبـرغ (١٨٥٦ - ١٩٢٧) المشهور بآحاد هاعام.

وبشكل عام فإن الحركة الصهيونية أثبتت مرونة في استيعاب هذه التيارات التـي يظهر عليها التناقض، كما أثبتت التيارات إمكانية التعايش في أجواء الخلاف، بل والاستفادة من تناقضاتها لخدمة المشروع الصهيوني، وظلت الأفكار السياسـية، اشتراكية، ليبرالية، شيوعية، وهكذا فإن الصهيونية الحقَّة تمـزج بـين جميـع التيارات (صهيونية توفيقية)، فهي تتحرك دبلوماسيًا لتنال التأييـد (سياسـية)، ويُوجِدُ المستوطنون حقائق على أرض الواقع تجعل التراجـع عنهـا مسـتحيلاً (عملية)، وتجمع الضرائب وتشجع الرأسمال اليهودي (التنقيحيـة والمراجعـة)، وتزود التنظيمات العمالية بالمساعدات (عمالية اشتراكية)، وتُعبِّـر عـن فلسـفة

قومية (لا دينية)، وتقدم نفسها على أنها التعبير الوحيد عن اليهودية والمدافع عن التراث اليهودي (دينية).

لا شك بأن هناك فرق بين الصهيونية واليهودية لكن الاثنين مرادفين لشئ واحد، ولا يوجد بينهما تضاد أو قُل لا يوجد بينهما تضاد كثير، لذلك سنحاول في عجالة أن نضع صيغة أخرى للتعريف بالصهيونية أو أن نوضح ما هي الصهيونية وما أوجه الاختلاف بينها وبين الديانة اليهودية، يعتقد اليهود في عقيدتهم أن المسيح المخلّص وهو ملك من نسل الملك داود، سيأتي في أخر الزمان ليجمع اليهود من شتاتهم ويعود بهم إلى أرض الميعاد، ويحكم العالم من جبل صهيون ويتخذ من أورشليم عاصمة له، وبعد ذلك يبدأ الفردوس الأرضي الذي سيدوم ألف عام الخ.

وأما الصهيونية كحركة سياسية فلم تظهر رسميًا إلا عام ١٨٩٧م عندما عقد تيودور هرتزل المؤتمر الصهيوني الأول، ولأن القرن التاسع عشر هو عصر القوميات فإن الدولة اليهودية ما هى إلا صورة من صور القوميات على النمط الغربي تمامًا، فلقد انبثقت الحركة الصهيونية من النزعة الاستعمارية التي سادت أوروبا في ذلك العصر.

وخوفًا من رفض اليهود الهجرة إلى فلسطين، استخدمت الحركة الصهيونية وعلى رأسها هرتزل المعتقد الديني لليهود في نسج أسطورة العودة إلى أرض الميعاد.. والادعاء بأن اليهودي الذي يموت خارج أرض الميعاد يظل جسده يصرخ حتى يدفن في أرض الميعاد، وضرورة إعادة بناء الهيكل الذي هدمه الرومان منذ ألفى عام، مع تحويل جميع الشعارات والرموز الدينية إلى شعارات ورموز دنيوية سياسية، وعملت الحركة الصهيونية على تأجيج إحساس اليهود بالاضطهاد وبأنهم ضحايا العداء الأزلي الذي يكنه الآخرون لهم، وذلك كي يفقدوا الشعور بالانتماء إلى أوطانهم التي ولدوا أو يعيشون فيها، ليكون خلاصهم في الهجرة إلى إسرائيل والولاء لها في النهاية، ولذلك حينما ظهرت الحركة الصهيونية عارضتها العديد من المنظمات اليهودية في العالم.

هذا، ويحرص الصهاينة بشدة على طمس الفارق بين الصهيونية واليهودية وأرض الميعاد ويرفعون هذا إلى درجة التقديس، ويعملون على إقناع الآخرين بأن الصهيونية تتفق مع اليهودية، لذلك كلما حاول أي شخص إيجاد الفوارق وكشف زيف الادعاءات الصهيونية يرفعون الدعاوى القضائية ضده ويتهمونه بما يطلقون عليه معاداة السامية.

ورغم تنوع المدارس الصهيونية ما بين يمينية ويسارية ودينية وملحدة ورأسمالية واشتراكية واختلاف اتجاهاتها ورؤيتها للصهيونية، إلا أنها تتفق جميعًا على إسقاط حقوق الفلسطينيين، وقد ظلت المقولة الأساسية التي تستند إليها كل التيارات الصهيونية هي مقولة (الشعب اليهودي)، أي الإيمان بأن الأقليات اليهودية في العالم لا تشكل أقليات دينية لها انتماءات عرقية وقومية مختلفة في المجتمعات التي تعيش فيها، لكنها تُشكل أمة متكاملة موجودة في الشتات أو في المنفى بعيدة عن وطنها الحقيقي في فلسطين وتنتظر بفارغ الصبر للعودة.

والحركة الصهيونية عنصرية سواء في موقفها من العرب أو من يهود الشتات، فهي تُنكر على الفلسطينيين حقهم في وطنهم، وتُنكر أيضًا على يهود الشتات حقهم في الانتماء إلى الأوطان التي يعيشون فيها، وتفترض دائمًا أنهم يتسمون بحالة من الشذوذ المرضي، ولذلك نجد معارضة يهودية تتركز بين اليهود الاندماجيين الذين لا يريدون ترك أوطانهم الأصلية من أجل الانتماء إلى وطن وهمي، مثل بعض اليهود الاشتراكيين الذين يعتبرون الصهيونية حركة إمبريالية تستخدم اليهود من أجل مصالحها الإمبريالية. كما أن هناك فريقًا من اليهود الأرثوذكس يعارضون الصهيونية باعتبارها نوعًا من أنواع الكفر والإلحاد.

لا شك بأن التيار الوطني للحركة الصهيونية الذي رأى أن يكون دور الحركة الصهيونية مقصورًا على الاهتمام بالنواحي الإنسانية كأقليات في مجتمعات بلادهم أثبت صحة نظرته الثاقبة مع الأيام، وهو يكسب أرضًا وتأييدًا على حساب

التيار الصهيوني القومي الذي دعا إلى إنشاء دولة لليهود واستطاع بسبب إمكانياته المادية أن يظل قائدًا للحركة الصهيونية وإسرائيل.

لا شك بأن الواقعية اليهودية التي تنشد تخليص اليهود من قيود الإمبريالية المتمثلة بالتيار القومي الصهيوني تستدعي التقدير والاحترام لأولئك اليهود الشجعان، الذين ينشدون تخليص اليهود عمومًا من لعب دور القتلة والعملاء في مهمات الدول المتنفذة على مدى أكثر من قرن من الزمان، وكانوا يرغمون على تنفيذ ذلك الدور المشين مما جعلهم يخسرون عطف الكثيرين، بل ويربحون عداء الكثيرين أو كما هي إسرائيل حاليًا، يقول "إسحق بارموشيه" في كتابه (الخروج من العراق):

"كنا نتذكَّر بحزن شديد أن حُكَّام العراق الرجعيين وخدَّام الاستعمار كانوا يصفوننا بأننا يهود، وقد تركنا العراق كيهود ووصلنا "إسرائيل" كعراقيين! كان المشهد مأساويًا ومضحكًا في الوقت نفسه، فقد ساعدنا حكام العراق على تأكيد وتثبيت يهوديتنا، وها هم أبناء ديانتنا يساعدوننا مرة أخرى على تأكيد وتثبيت عراقيتنا! كان الشعور العام مؤلمًا ومثيرًا للحزن في آن واحد، إن الأنبياء اليهود المعروفة قبورهم يثوون في أرض العراق، وقد حافظنا عليهم نحن والعرب مثلما يحافظ الإنسان على بؤبؤ عينه، إن العرب في الديار المقدسة (فلسطين) كانوا أحسن الحرّاس وأكثرهم أمانة لقبور أجدادنا وأجدادهم معًا، في الخليل وغير الخليل، وإن تاريخنا وتاريخهم في هذه الديار يرتبط ارتباطًا عضويًا، ولذلك فقد اكتشفنا أن المستقبل هو للارتباط وليس للانفصال، وأن عوامل القرب، هنا وهناك، كانت وظلت وستبقى أقوى من عوامل البعد.. الخ!"

لكن اليهود الغربيين أيضًا قد عانوا من المأساة التي حلت باليهود على يد الصهيونية وخداعها، في بريطانيا مثلاً، أخذ مثقفون كثيرون من الطائفة اليهودية موقفًا معارضًا ومتشددًا لوعد بلفور عام ١٩١٧م، حتى أن "لوسيان وولف" كان يساوي بين الصهيونية والعداء للسامية، كان لوسيان وولف أحد مثقفي اليهود العقلاء الذين لم يلحقوا بركب الحماس العاطفي للدعوة الصهيونية، لأنه كان يعلم

بأن وزير خارجية بريطانيا العظمى "آرثر بلفور" كان قد أصدر عام ١٩٠٥م، بصفته رئيسًا للوزراء، مشروع القانون الخاص بالأجانب، المشروع الذي يحد من دخول المهاجرين اليهود إلى بريطانيا، حيث قال أمام البرلمان البريطاني، "أن لكل بلد الحق في اختيار المهاجرين إليه، وأن مصائب كثيرة أصابت المجتمع البريطاني بسبب تدفق المهاجرين اليهود".

من ناحية أخرى، إن أستاذ القانون الأميريكي ماليسون كان له وجهة نظر وتفسير للخلاف الذي حدث بين يهود بريطانيا وبين الحكومة البريطانية ومعها الحركة الصهيونية اليهودية، وهذا حدث قبل صدور وعد بلفور، فقد ساورت اليهود البريطانيين شكوك عميقة بخصوص الأهداف السياسية الصهيونية، وبعد الكشف عن مسودات تصريح بلفور أصبح هؤلاء اليهود ملتزمين، بصورة لا لبس فيها، بموقف معارض للمنظمة الصهيونية التي كانت تفاوض الحكومة البريطانية، وذلك بغية الحفاظ على القيم اليهودية الأساسية| ولم يكونوا راضين عما تسعى إليه الحركة الصهيونية.

نخلص إلى أن اليهود البريطانيين كانوا ممتعضين من وعد بلفور بسبب أنه يعمم على أن اليهود يمثلون قومية، وهو ما سيضر كثيرًا بالمصالح اليهودية في كثير من دول العالم وبالتالي سيثير عدم رضا كثير من اليهود في العالم، كما أن يهود بريطانيا رفعوا مذكرة للحكومة البريطانية، تقول بإن تصريح بلفور يمس بحقوق المسلمين والمسيحيين في فلسطين لأنه يعني إخلاء المكان وهو ما يعني طرد السكان الحاليين، كما أن تجميع اليهود بذلك الكم في مكان واحد بطريقة تثير عداء سكان فلسطين ومن يحيط بهم هو خطر شديد مع مرور الأيام، كما أن الخطر الذي قد يحدق بمصالح يهود العالم سيقوم على فرضية خاطئة بأن جميع اليهود يشكلون قومية واحدة وأن لهم وطن هو فلسطين، وهو ما قد ينتج عنه أن الشعوب الأخرى ستنظر لليهود من غير الإسرائيليين على أن لهم ولاء مزدوج، وهو ما قد يجعل أوطانهم تنظر لليهود بنظرة الشك وهو ما قد يحرمهم من حقوق طبيعية في المجتمعات التي هم أفراد منها.

قد تكون المسألة أكثر تعقيدًا مما عارضه يهود بريطانيا ومن كل الفرضيات المحتمل حدوثها لليهود، لكن ما حدث هو إعادة تشكيل عالم ما بعد الحرب العالمية الأولى، عالم سيادة النظام الإمبريالي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، الذي وصل إلى أقصى مراحل صعوده التي ربما لا صعود بعدها، بل وقد يأتي الانحدار سريعًا لأن التاريخ لا يتوقف.

الفكر الصهيوني:

عندما ظهرت الحركة الصهيونية في نهاية القرن التاسع عشر كان يتجاذبها فريقان أو تياران أو رأيان، كان زعماء كل فريق لهم رأي مخالف للصهاينة الآخرين الذين يمثلون التيار الآخر، كان هناك التيار الوطني (التوطيني) والتيار القومي (الاستيطاني)، وكان ما يسمى "التيار الوطني" هو الغالب في هذه الحركة، وهو التيار الداعي إلى بقاء اليهود في بلادهم الأصلية، والعمل على الاندماج في هذه المجتمعات وتظل الحركة الصهيونية سند تنظيمي معنوي كحركة يهودية عالمية، وكانت غالبية هؤلاء من المثقفين والعمال الفقراء أو من الطبقة المتوسطة.

أما التيار الثاني، فكان "التيار القومي" وكان يتزعمه غلاة الصهاينة من كبار الأغنياء اليهود الباحثين قبل كل شيء عن "أرض" يمارسون عليها نشاطهم الاقتصادي بعيدًا عن منافسة البرجوازية الأوروبية القوية، ولم يكن يعنيهم كثيرًا أن تكون هذه الأرض فلسطين أو غيرها، فالموضوع بالنسبة لهم كان مشروعًا اقتصاديا فحسب، وبالفعل فقد طرح في البداية إنشاء دولة لليهود في أوغندا أو غانا! ثم طرح إنشاء دولة في مناطق واسعة من الأرجنتين! ومع ظهور النزاعات العنصرية في أوروبا والمذابح التي تعرض لها اليهود في روسيا أولاً، ثم في باقي الدول الأوروبية، إضافة إلى توظيف رأس المال إعلاميًا وفي إقناع كثير من المترددين من نشطاء الحركة الصهيونية، ازداد أنصار التيار القومي الداعي إلى

وطن قومي لليهود، ونتيجة لعدد كبير من العوامل تم في النهاية اختيار فلسطين لكي تكون هي الوطن القومي المزعوم.

وعما تعرَّض له اليهود في روسيا أيام حكم القياصرة، نقلاً عن كتاب "ثاعو شومسكي"، ترجمة أيمن حنا حداد، كتب المؤرخ الصهيوني الشهير، "سيمون مركوفيتش دبناو"، عن أهم المذابح وأكثرها شهرة، التي تمت ضد اليهود الروس أيام حكم القياصرة، تلك التي أدت إلى حملة عالمية في أوروبا الغربية والعالم لإنقاذ اليهود، وعلى أثرها أصيب اليهود بالفزع وراحوا يهاجرون إلى أمريكا وأوروبا الغربية بأعداد كبيرة، فقال عن ذلك:

"عشية الاحتفالات بعيد الفصح المجيد عام ١٩٠٣ م، كانت هناك إشاعات غامضة قد انتشرت في مدينة "كشينيف" بروسيا، قيل إنها تحدثت عن مقتل خادمة مسيحية اتهم فيها اليهود، ولهذا حملت الأحداث في تلك المدينة، بأن هناك منظمة سرية ما، تضمر حقدًا على اليهود، وتُعد لخطة دموية ضدهم"، وفعلاً كان هناك نشرات مطبوعة يدويًا تم توزيعها بالمدينة، تقول بإن قيصر روسيا قد أصدر مرسومًا قيصريًا، يعطي الأذن بمعاقبة اليهود عقابًا دمويًا خلال الأيام الثلاثة لعيد الفصح المسيحي، ولم تقم الشرطة بأي محاولة لسحب تلك النشرات، والسبب _ كما انجلى الأمر لاحقًا _ هو أن الشرطة قد كانت جزءًا من المؤامرة.

عشية احتفالات عيد الفصح، توجَّه ممثلو اليهود في زيارة رسمية إلى حاكم المدينة ورئيس الشرطة، راجين أن يُمنحوا الحماية، فتلقوا ردًا فاترًا بأن الأوامر الضرورية قد أعطيت، وأن الإجراءات المناسبة لضمان أمنهم قد اتخذت، ويتابع "دوبناو" قائلاً، اندلع الحريق الهائل الذي أعد له علنًا بواسطة مثيري الفتنة في اللحظة التي كانت مقررة سلفًا.

ففي يوم الأحد السادس من نيسان، وهو اليوم الأول من الفصح المسيحي واليوم السابع من العطلة اليهودية، بدأت أجراس الكنائس تقرع في وقت الظهيرة، وأخذ حشد كبير من المواطنين والحرفيين الروس، الذين كانوا من دون شك يتصرفون

بناء على إشارة محددة بالانتشار في كل أنحاء البلدة، وبدأوا بمهاجمة البيوت والمتاجر اليهودية، وكان قد سبق تلك الزمر مجموعة من أشقياء الشوارع قاموا بقذف الحجارة على شبابيك البيوت والمكاتب والمحال اليهودية، وحين رأي المشاغبون الذين كان عددهم قد تضخم بانضمام أولئك المقاتلين الشباب أن الشرطة لم تقم بأي مسعى للتدخل، أخذوا في اقتحام البيوت والمتاجر وألقوا بمحتوياتها في الشوارع حيث كانت تحطم أو تنهب من قبل الحشد المحتفل.

ولكن حتى في ذلك الوقت ظلت مفارز الشرطة والجنود، التي كانت متمركزة في الشوارع، دون حراك ولم تقم بأي مسعى لاعتقال المشاغبين، وقد اعتبر توجه الشرطة هذا في أعين الرعاع إثباتًا أكيدًا على أن الشائعات المتعلقة بوجود إذن من القيصر لضرب اليهود أمرًا صحيحًا، فامتلأت الشوارع بالحشود الهائلة من الرعاع في حالة من السكر، وهم يصيحون "الموت لليهود! اضربوا اليهود!".

ويكمل دوبناو قائلاً، في المساء تراجع النهب لصالح القتل فبدأ القتلة المسلحين بالهراوات والسكاكين، بالإغارة على اليهود في السيارات وفي الشوارع وفي البيوت مسببين لهم جراحًا بليغة وقاتلة أحيانًا، لكن رجال الشرطة والجيش ظلوا حتى في تلك الأثناء دون حراك، ولم تتدخل الشرطة على الفور إلا حين قامت مجموعة من اليهود المسلحين بالعصي بمحاولة طرد القتلة في أحد الأماكن، فجردت الشرطة المدافعين من أسلحتهم.

في العاشرة مساءً، توقف النهب والقتل فجأة، وسرت شائعة بأن القيادة العامة للمشاغبين كانت تعقد اجتماعًا لبحث الخطط التالية لعمليات القتل، وأنها كانت تُعد الترتيبات لتنفيذ مجزرة منظمة، ما لبث الجيش أن تسلم الأوامر الضرورية، وخلال يوم السابع من نيسان بكامله، منذ الفجر وحتى الثامنة مساء كانت مدينة كيشينيف مسرحًا لأعمال وحشية قلما وجد ما يوازيها حتى في أكثر العصور بربرية! فخلال ذلك اليوم بكامله كانت العربات تشاهد في الشوارع وهي تنقل اليهود الجرحى والقتلى إلى المستشفيات التي حولت إلى مستشفيات ميدانية للأمراض الوبائية، ولكن هذا المنظر نفسه لم يدفع أيضًا بالشرطة إلى تدَّخل.

وأما حاكم المنطقة "فون رابن"، الذي أتاه في اليوم الثاني للمذبحة وفد يهودي في زيارة رسمية متوسلين إليه أن يوفر لهم الحماية، فقد رد قائلاً بإنه لا يستطيع عمل شئ لأنه لم يتلق تعليمات من عاصمة الإمبراطورية الروسية "سانت بطرسبرغ"، ويواصل دوبناو قائلاً، وأخيرًا في الساعة الخامسة من بعد الظهر، وصلت برقية من مدينة بليف، وفي الساعة السادسة ظهرًا، كانت كتائب كبيرة من الجند بكامل أسلحتهم في الشوارع الرئيسية، وما أن لاحظت الحشود أن الجنود كانوا مستعدين للتدخل حتى لاذت بالفرار بدون إطلاق رصاصة واحدة.

كانت النتيجة أن خمسة وأربعين يهوديًا قتلوا في تلك الأحداث، وثمانية وستين أصيبوا بجراح بليغة أو أقعدوا، وخمسمائة أصيبوا بجراح خفيفة، هذا بالإضافة إلى حالات الاغتصاب التي لم يكن من الممكن تحديد عددها، وفي مقابل العدد الضخم من الضحايا اليهود، كانت هناك حالتي وفاة ضمن المشاغبين.

وعلى إثر ذلك جرت، صرخة من الرعب في عموم روسيا، وفي البلاد المتحضرة من العالم، وعندما انتشرت الأخبار عن مذبحة كشينيف، كان ثمة تحقيق قضائي، ولكن المحاكمة أجريت في روسيا خلف أبواب مغلقة، كان اللصوص والقتلة المأجورون من الطبقات السفلى، وحدهم الذين حوكموا وأدينوا في تلك الأحداث، في حين نجا منظموا المجزرة وزعماؤها من حكم العدالة، رغم أن واحدًا منهم كان قد أطلق الرصاص على رأسه قبل بدء المحاكمة، وقد حُكِم على البعض بالأشغال الشاقة أو بفترات سجن، الأمر الذي روَّع العالم المتحضر خصوصًا في أوروبا الغربية وأمريكا.

وكتب دوبناو أيضًا، لم تترك المذابح اليهودية البوجروم (جمع بوجروم Pogrom) التي حدثت في بداية الثمانينات من القرن الثامن عشر، ولا الفظائع التي حدثت في موسكو في بداية التسعينات من ذلك القرن، أثرًا يمكن مقارنته بالأثر الفعال الذي سببته مذبحة كشينيف على يهود روسيا، لقد كانت تلك المذبحة عاملاً أساسيًا في موجة الهجرة الكبيرة ليهود روسيا في السنين التالية وكانت

الهجرة في أكثر الحالات إلى الولايات المتحدة، وأوربا الغربية، ولكن إلى فلسطين أيضًا.

كان من ضمن هؤلاء الذين هاجروا لإسرائيل عندما كانوا فتيانًا الشاعر اليهودي (بياليك Chaim Nachman Bialik) الذي كان قد ولد بأوكرانيا وتعلم وعاش في أوروبا الغربية، وهو يُعتبر الشاعر الصهيوني الوطني، وصل بياليك إلى تل أبيب وعاش فيها، إلا أنه مات في فيينا ودُفِنَ في تل أبيب، كتب قصائده بالعبرية وكتب عن مذبحة كشينيف ومعاناة اليهود فقال في إحدى قصائده المترجمة:

وإذا كان ثمة عدالة _ فلتُظهر نفسها على الفور!
ولكن إذا أظهرت نفسها بعد أن أكون قد مُحيت من تحت السماوات
فلينخلع عرشها إلى الأبد!
ولتتفسخ السماوات بشرٍّ أبدي!
وأنتم يا أيها المتغطرسون
فلتواصلوا عنفكم هذا
ولتحيوا بالدم الذي أرقتموه
ولتتطهروا به.
وليكن ملعونًا ذلك الرجل
الذي يقول: فلننثأر!
فليس ثمة ثأر اخترعه الشيطان بعد
يكافئ دم صغير..
دع الدم يخترق قاع الهاوية!
دع الدم ينز حتى يصل إلى أعماق الظلام
ويفتت هناك، في الظلام
كل أسس الأرض المتعفنة ويصدعها.

المفارقة أن مذبحة "كشينيف" لم تُذكِّر الزعماء الصهاينة، "مناحيم بيجن" و"أريئيل شارون"، شركاء حرب اجتياح لبنان عام ١٩٨٢م، بأنهم سمحوا بالضبط أن

يحدث في مخيمي "صبرا وشتيلا" الفلسطينيين في لبنان بما هو أفظع مما حدث في كشينيف لليهود، فقد تم كل شيء في صبرا وشتيلا، تحت نظر وسمع الجيش الإسرائيلي الذي اجتاح لبنان عام ١٩٨٢م، لقد كان الجيش الإسرائيلي على دراية تامة بما كان يحدث في المخيمين الفلسطينيين، اللذين أرسل الجيش الإسرائيلي إليهما عصابات القتلة، قال دبناو عن مذبحة كشينيف: "كانت مدينة كشينيف مسرحًا لأعمال وحشية قلما وجد ما يوازيها حتى في أكثر العصور بربرية!"، فماذا يمكن أن يقال عن مذبحة "صبرا وشتيلا" التي راح فيها ألفين من المدنيين الفلسطينيين، قتلوا بطريقة همجية ووحشية تمَّت بحراسة ورعاية الجيش الإسرائيلي الذي تنتسب عناصره إلى ضحايا مدينة كشينيف عام ١٩٠٣م!

من الطريف ذكره، أن أدبيات الحركة الصهيونية كانت تُسمي فلسطين باسمها الأصلي، ولم تكن تسمية إسرائيل قد خطرت لهم على بال، حتى بعد قيام إسرائيل كانت تُسمى "الأراضي المقدسة" حتى العام ١٩٥٢ م على الأقل، لأنهم يعرفون أن شعب إسرائيل المزعوم، كان قد اندثر من الوجود، وذاب بين شعوب المنطقة منذ القرن السادس قبل الميلاد على الأقل! وأن اللغة العبرية نفسها قد اندثرت من الوجود منذ ذلك الزمن أيضًا، وقد كان اليهود يتكلمون الآرامية "المقصود يهود السبي في بابل وبعد ذلك في فلسطين" ثم بعد ظهور العربية وهيمنتها على المنطقة تكلم اليهود العربية مثلهم مثل غيرهم من شعوب المنطقة وذلك هو منطق التاريخ وحقائقه.

وعندما قامت الصهيونية بمحاولة إحياء اللغة العبرية، وهي المحاولة التي كان لليهود الألمان الدور البارز فيها، جاءت العبرية الحديثة اصطناعًا على اصطناع، وهي لا تمت بصلة للغة العبرية الأصلية، ذات الأصل الشرقي العريق، فاللغة العبرية الحديثة غير قادرة على نطق ثلاثة من الأحرف الأساسية في "اللغات السامية" وهي الحاء والعين والقاف، إضافة إلى قلب الحروف المأخوذ عن الإرامية، وتحويل الألمان الحرف (و) إلى ف، بثلاثة نقاط وهو الحرف الألماني

(w) وهكذا ضاعت اللغة العبرية مرتين، وأصبحت لغة عجيبة هجينة مصطنعة حتى النهاية.

مثال آخر للتزوير البشع الذي تمارسه الصهيونية، هو ادعائها بأن اليهود في جميع أنحاء العالم أتباع دين معين هو الدين اليهودي فقط، ولكنها تذهب أبعد من ذلك، أن تدَّعي بأن هؤلاء إنما هم شعب واحد من عِرق واحد، في واحدة من أكثر الخدع بشاعة في تاريخ الإنسانية.

مثال ثالث للتزوير والخداع، هو ادعائها في وقت لاحق بأن فلسطين، هي الأرض الموعودة، وهي مسرح التوراة، وهي الحاضنة الطبيعية للديانة اليهودية! ورغم فشلهم الذريع في إثبات هذا الأمر وهم ينبشون في تراب فلسطين منذ أكثر من قرنين من الزمان مزودين بكل ما يخطر على بال من إمكانيات تكنولوجية، وملايين الدولارات، وأدعية الحاخامات، وقد أخرجت أرض فلسطين كل أسرارها، ولم يعثر على أثر واحد لكل ما ذكر في التوراة، لا قصور ولا ممالك ولا ما يحزنون، وبقيت أرض فلسطين وفية حتى النهاية، المهم أن كل الحضارات التي مرَّت على فلسطين نعرفها جيدًا ويمكن تزمينها بدقة، وأبرز هذه الحضارات هي الحضارة الكنعانية والحضارة الفلسطينية، حتى إنسان ما قبل التاريخ كان حاضرًا بأدواته البدائية، ليكون شاهد على فضيحة الهدهد هذه، فجن جنونهم وبدأوا يمارسون الكذب علانية، مستفيدين بالدرجة الأولى من غياب الطرف العربي، وصمته المريب، ومستفيدين من بعض أطروحات الفقه الإسلامي البائسة من نوع "العلو الثاني" و"الوعد الإلهي" وهم يوظفون كل ما في حوزتهم من إمكانيات لتزوير التاريخ وإعادة كتابته كما يريدونه هم، بعد كل تلك الرحلة وتقلبات الفكرة نستطيع أن نقول بإن الصهيونية أخذت طابعًا موحدًا بعد مرحلة توحيد المنظمات اليهودية العالمية التي استقت الصهيونية منها هدفها.

لقد تأسست هذه الحركة الحديثة في عام ١٨٩٧م وتألفت من أفكار عديدة عند نشأتها خصوصًا أين ستقام الدولة اليهودية (الصهيونية) وأين بقعة الأرض التي ستحتضن هذه الأمة، تجدر الإشارة إلى أن الكثير من اليهود المتدينين عارضوا

ومازالوا يعارضون الصهيونية بالإضافة إلى عدم انتماء بعض مؤسسي دولة إسرائيل إلى أي دين والكفر باليهودية وغيرها من باقي الأديان، ذلك بالرغم من اعتقاد المتدينين اليهود أن أرض الميعاد قد وهبها الله لبني إسرائيل فهذه الهبة أبدية ولا رجعة فيها إلا إنهم لم يتحمسوا كثيرًا للصهيونية باعتبار أن أرض الميعاد ودولة إسرائيل لا يجب أن تُقام من قبل بني البشر كما هو الحال بل يجب أن تقوم على يد المسيح المنتظر!

نستطيع أن نقول إن الأحداث تعاقبت سراعًا منذ سنة ١٨٩٠م وكان التوجه لمعادات السامية في روسيا هو البداية وكانت من أكثر الدوافع التي ضغطت في اتجاه اختيار أرض لكي يقيم اليهود عليها دولتهم، يُشير كتاب "عالم اليهود" أنه رغم أن الثورة الفرنسية قد رفعت شعارات حقوق الإنسان واستفاد اليهود في أوروبا كثيرًا من مساحة الحرية التي راح المواطنون ينعمون بها، ورغم الازدهار الاقتصادي للجاليات اليهودية في أوروبا التي راحت تُنشيء المصانع والأعمال وتؤسس بيوت المال، رغم هذا إلا أنه لم يكف في نظر مفكري اليهود الذين كانوا قد قطعوا شوطًا في التنظيمات النقابية اليهودية وغيرها، وراحوا يتساءلون بينهم وبين أنفسهم ويكتشفون بأنهم يختلفون مع الناس الذين يعيشون في كنفهم في المجتمعات الأوروبية، أخيرًا وصلوا إلى فكرة الحركة الصهيونية بل وإلى تفسير مستفز لكل اليهود على اختلاف مشاربهم وأوطانهم، وقدموه إلى العامة من بني يهود بطريقة بسيطة ومفهومة، قالوا إذا كان اليهودي له دين مختلف عن الآخرين، وله لغة تختلف عن الآخرين فلابد أن يكون له وطن غير أوطان الآخرين.

وحسب تلك المقولة يبدو أن الفكرة الصهيونية لإنشاء وطن قومي لليهود قد تبلورت إلى أن أصبحت الثالوث الذي اشتهرت به الحركة الصهيونية، الدين اليهودي وشعب الله المختار وأرض إسرائيل، وبهذا استطاع النشطون من مفكري اليهود في بلاد الشتات أن يجددوا فكرة ارتباطهم بفلسطين بعد أن استقر الرأي إلى اختيار فلسطين لكي تكون كيانًا لليهود، واستفادوا من أدبيات التاريخ

اليهودي كما هو الاعتقاد الشائع بينهم على أن فلسطين هي أرض الميعاد، وأخذ ذلك طابعًا عالميًا منذ أن دخل الرومان مدينة القدس عام ٧٠ قبل الميلاد وتشتت اليهود في أصقاع الأرض، ولولا الصهيونية، لكان الاعتقاد السائد لدى اليهود أن تشرذمهم سينتهي يوم يجمعهم المسيح المنتظر في كيان قومي يوحدهم.

إن التحرر الذي حصل لليهود في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الذي أشرنا إليه، وانتشار الحركات الليبرالية في أوروبا كان له الأثر البالغ في شعور اليهود بقوميتهم، وقد طال حينئذ هذا الشعور عامة اليهود المقيمين في أوروبا وحتى الذين ابتعدوا عن التديّن اليهودي بصورته التقليدية، هذا وقد تأثر اليهود إلى حد ما بكيفية أو بأخرى بالحركات التي عملت على توحيد بعض الدول الأوروبية واستفادوا من تجاربها مثلما كيف توحدت ألمانيا وإيطاليا وغيرهما، وقال حينئذ بعض نشطاء الجاليات اليهودية، إذا كان يحق للإيطاليين أو الألمان أن يُقيموا دولاً توحدهم، فلماذا لا يحق لنا نحن اليهود نفس الشيء؟ هذا إضافة إلى تنامي شعور كره السامية في بعض المجتمعات الأوروبية أو كما حدث في المجتمع الفرنسي، وإن كان ذلك لم يأخذه اليهود في الحسبان نتيجة حرية ورقي المجتمع الفرنسي بعد الثورة الفرنسية.

نستطيع أن نقول بإن الصهيونية الحديثة قد بدأت نواتها الأولى عام ١٨٠٦م حين اجتمع المجلس الأعلى لليهود بدعوة من "نابليون" لاستغلال أطماع اليهود وتحريضهم على مساعدته، هذا وإن من بين من حملوا على عاتقهم نقل الفكرة الصهيونية من الخيال إلى الواقع هو بدون شك، "تيدور هيرتسل" الذي كتب كراس في العام ١٨٩٦م أسماه "الدولة اليهودية"، وفي العام الذي يليه، نظّم هيرتزل المؤتمر الصهيوني الأول، وتمخّض المؤتمر فأنجب "المنظمة الصهيونية الدولية".

وليم بلاكستون William Blackstone:

في الولايات المتحدة الأمريكية كان الانبعاث الديني على أشده في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حينما كانت المشكلة اليهودية تتفاقم في أوروبا الغربية بسبب هجرة اليهود الروس، وكان "وليم بلاكستون (١٨٢٩ – ١٩٠٠م)" قد وُلد في مدينة آدمز بالولايات المتحدة (الموسوعة الحرة Wikipedia)، المدينة التي شهدت حركة وكان لها دور كبير في النشاطات الدينية، حيث كانت موطنًا لمبشر مشهور وعالم في الدراسات الدينية اسمه "تشارلس مني"، الذي اشتهر بمشاركاته الفعالة، وكان له أثر كبير في الحياة الدينية الأمريكية، تأثر وليم بلاكستون منذ شبابه بالانبعاث الديني فراح يحضر الاجتماعات الدينية الكثيرة، وراح يُشارك في الحلقات والاجتماعات، وصار من مدرسة التفسير الحرفي للكتاب المقدس التي أصبحت تنتشر في الولايات المتحدة الأمريكية، المدرسة التي كانت تؤيد إقامة وطن لليهود في فلسطين.

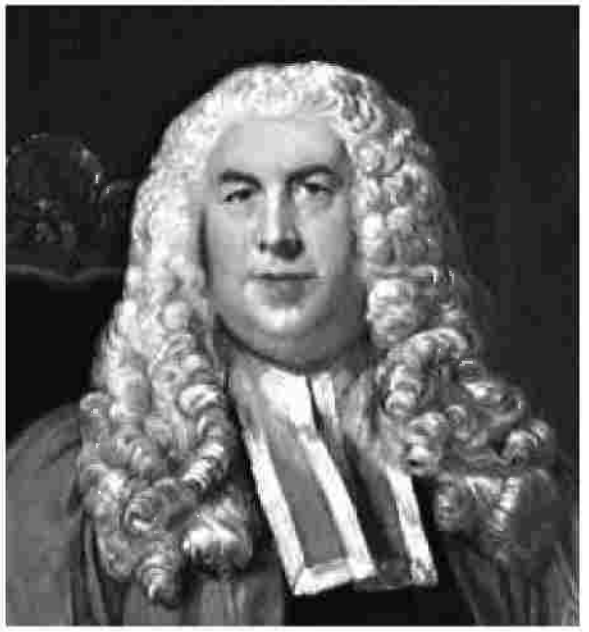

وليم بلاكستون ١٨٢٩ – ١٩٠٠م

كان أيضًا من أبرز مفكري هذه المدرسة والداعين لأفكارها وأحد من أسَّسوها، رجل دين بريطاني الأصل من أيرلندا اسمه "نلسون داربي"، الذي لم يلاقي تجاوبًا في بريطانيا لِما كان يدعو إليه من أفكار، قام داربي بعدة رحلات إلى الولايات المتحدة فوجد الناس أكثر قبولاً وتجاوبًا لما كان يبشر به، ووجدوا دعوته أكثر هوى فاعتنقوها وأصبح يُعد اتباع هذه الأفكار بعشرات الملايين، وأصبحت نهجًا دينيًا ومدرسة مشهورة في المجتمع الأمريكي، وحسب أفكار نلسون داربي فإن العالم منذ بدايته لا بد وأن يمرّ بسبع مراحل، واليوم (زمن داربي) العالم يمر في فترة المرحلة السادسة التي هي في رأيه على وشك الانتهاء، انتهت كل مرحلة من المراحل السابقة بعقاب من الرب على شرور الناس وذنوبهم ليُطهِّرهم، وهذه المرحلة أيضًا ستنتهي بعقاب، وبعدها تبدأ المرحلة السابعة والأخيرة التي هي مرحلة الخلاص الأخير التي بعدها سيظهر المسيح عيسى مرة أخرى وينشئ دولته في فلسطين، وستستمر ألف سنة ينعم فيها الناس بالعدل والخير والرفاهة، ويكون العقاب في نهاية هذه المرحلة قبل نزول عيسى على شكل كوارث طبيعية واضطرابات سياسية واجتماعية وأوبئة وأمراض وحروب، وبعدها يظهر الدجال وتكون معركة سيقتل فيها خلق كثير، وهنا يأخذ عيسى المؤمنين ويصعد بهم للسماء، مدة هذه الحوادث ستكون سبع سنين بعدها ينزل المسيح بالمؤمنين إلى الأرض ثانية، وتبدأ حياة الألف عام، لكن نبوءة داربي لم تنتهي إلى ما ذكر بل إنه قال بإن شيئًا مهمًا سيحدث إضافة إلى ما ذُكِرَ، هو ضرورة هجرة وتجميع اليهود في فلسطين وإنشاء دولتهم طبقًا لنبوءة الكتاب المقدس كما يقولون، ومنذ القرن التاسع عشر، نشط أصحاب هذا الفكر، وراحوا يدعون إلى تجميع اليهود في فلسطين بناء على خطة الرب لتحقيق الخلاص.

يعتبر "وليم بلاكستون"، من أخلص تلاميذ هذه المدرسة، وكان من أكثرهم نشاطًا ودعوة لها، وفي عام ١٨٧٨م أصدر كتابًا سمَّاه "عيسى قادم" يؤكد

على صحة هذه التفسيرات، وراح يستشهد بعبارات كثيرة من التوراة والإنجيل دعمًا لها، وفوق هذا ترك عمله وتفرغ تمامًا لدعوته وراح يُبشر بها بين الناس وخصَّص أموالاً كثيرة لهذا العمل حيث كان قد حصل على ثروة من والد زوجته الثري، وعلى هذا أصبح بلاكستون يسافر كثيرًا من أجل دعوته ويُنفق الأموال، وكانت رسالته الأساسية أن يدعو إلى ذهاب اليهود والإقامة في فلسطين لأجل سرعة تحقيق النبوءة.

وحينما انتقل إلى شيكاغو بدأ مرحلة أخرى فأسس في عام ١٨٨٧م جمعية لهذا العمل، وسافر إلى فلسطين لتشجيع من هاجر من اليهود إليها، وعمل على مساعدتهم على الاستمرار والبقاء فيها، وادَّعى بأن وجودهم في فلسطين يجلب البركة للدولة العثمانية التي يمكن أن تسهل الهجرة إلى فلسطين، من أجل تشجيع تهجير اليهود إلى فلسطين عمل على تنظيم مؤتمر في شيكاغو عام ١٨٨٩م دعا إليه لأول مرة عددًا من الشخصيات المسيحية واليهودية المهمة، وأطلق على المؤتمر شعار "ماضي اليهود وحاضرهم ومستقبلهم"، ونص البيان الختامي على مساعدة اليهود على الهجرة إلى فلسطين وإنشاء وطن قومي لهم هناك، وطالب المجتمعون الدول التي يعيش فيها اليهود وخاصة روسيا بالرأفة باليهود، وأرسلوا نسخة من البيان إلى قيصر روسيا بهذا المعنى.

كتب بلاكستون للرئيس الأمريكي ولوزير الخارجية التماسًا بصفته رئيس المؤتمر المسيحي اليهودي، وقَّعه أكثر من أربعمائة وثلاثة عشر شخصية معروفة منهم أعضاء في الكونجرس وقضاة وصناعيون ورؤساء كنائس ورؤساء تحرير صحف، كان من الموقعين على المذكرة جون روكفلر ووليم ماكينلي الذي أصبح فيما بعد رئيسًا للولايات المتحدة الأمريكية، احتوت الوثيقة على "إن الوقت قد حان لكي تعطف الشعوب المسيحية الغربية على اليهود وترجعهم إلى أرضهم"، واقترح عقد مؤتمر دولي بهذا الخصوص، كما اقترح تعويض الدولة العثمانية بالمال عن فلسطين في حال تخصيصها

لليهود، وربط في التماسه بين السياسي والديني، فمن جانب ذكر بعض نبوءات العهد القديم حينما قال بإنها تشير إلى عودة اليهود إلى فلسطين، ومن جانب آخر أكد على فكرة عقد المؤتمر الدولي وأهميته السياسية وقال أتمنى أن يكون الشرف للرئيس ووزير خارجيته بأن يهتما شخصيًا بهذه القضية العظيمة، ويضمنا عن طريق عقد مؤتمر خاص لكي يتم العمل بأن تصبح فلسطين وطنًا لملايين اليهود المشردين، وزيادة في التشجيع ذكر في البيان أن في حال النهوض بالفكرة وتحقيقها سيكون عمل الرئيس ووزير الخارجية كعمل الملك الفارسي قورش، الذي سمح لليهود بالرجوع إلى فلسطين من منفاهم في بابل لبناء هيكلهم وهو يعتبر بطلاً تاريخيًا عندهم، وعندما تسلم الرئيس المذكرة وعد بأنه سينظر فيها باهتمام، لكنه اغتيل في الفترة الثانية من رئاسته.

هذا، وكتب بلاكستون أيضًا مقالة طويلة في مطبوعة مهمة بخصوص موضوع إنشاء وطن لليهود في فلسطين عنوانها، "هل يمكن للولايات المتحدة أن تتدخل من أجل اليهود"، أشار إلى قدرة اليهود على إنشاء دولة لهم تستوعب الملايين، "ويجب أن يكون لها سيطرة على الحرم الشريف وموقع الهيكل المزعوم، وأن إعادة بناء الهيكل تحت الرعاية الإلهية سيشجع اليهود الأرثوذكس على الهجرة ويؤجج فيهم روح الحماس الديني ويهيئ الطريق لليهود الآخرين للمجيء إلى أرض آبائهم"، وتعني فكرته حول سيطرة الدولة اليهودية المقترحة على الحرم الشريف هو أن يهدم من أجل أن يقام مكانه ما يسميه اليهود "الهيكل الثالث".

عندما ظهرت الحركة الصهيونية وتم إعلانها رسميًا في المؤتمر الأول للحركة عام ١٨٩٧م، كان بلاكستون على اتصال بزعمائها، وعندما طرح خيار أوغندا كوطن قومي لليهود أرسل بلاكستون نسخة من الكتاب المقدس إلى هرتزل مؤشرًا على العبارات التي قال له - طبقًا لتفسيره - إنها تتنبأ بهجرة اليهود إلى فلسطين وليس إلى غيرها.

بعد أن نشر كتاب "بروتوكولات حكماء صهيون" في الولايات المتحدة الأمريكية، وما لاقى من إقبال عند الناس، أخذ يكتب إلى الصحف مؤكدًا على تزوير الكتاب ورافضًا صحة معلوماته وفكرة الحكومة العالمية لليهود، واتهم من يؤيد ذلك بالعداء للسامية لأن ما يقرأه الناس افتراء.

وأثناء فترة حكم الرئيس "توماس ويدرو ويلسون" قدَّم مذكرة ثانية للرئيس، ووقعها معه هذه المرة ثمانون شخصية معروفة، وأرفق مع المذكرة أيضًا رسالة جاء في بعضها، "كان لي الشرف أن أحصل على تأييد لتقديم المذكرة نيابة عن اليهود، وإني مؤمن بأن تطور الأحداث ينبئ عن قرب حصول اللحظة المناسبة من أجل أن تأخذ قرارًا كريمًا مثل الذي اتخذه قورش ملك فارس، وأنا متأكد من تعاطفك ورغبتك في مساعدة اليهود في وضعهم المأساوي، وأنا أصلّي أن تغتنم هذه الفرصة لتضمن لنفسك ولشعبنا البركة التي وعدها الرب لإبراهيم ونسله وأن يري رحمة لشعب إسرائيل".

كتب لويس براندیس زعيم الحركة الصهيونية في الولايات المتحدة الأمريكية رسالة إلى "جيمس روتشايلد" قال له فيها عن المذكرة "وقد كُتبت مذكرة لهذا الغرض (لتأييد الفكرة الصهيونية)، وقعها كثير من الشخصيات المسيحية المعروفة والتي ستقدم إلى الرئيس في الوقت المناسب لتدعم الأفكار المتعاطفة"، وكتب براندیس لبلاكستون رسالة مثمنًا فيها جهوده، ومعبرًا له عن سعادته العميقة لعمله لصالح الحركة الصهيونية ومقدرًا التأثير الذي أحدثته مذكرته، وقال إنه يعتبره أبًا للصهيونية "لأن عملك سبق عمل هرتزل"، كما قدَّمه في أحد المؤتمرات الصهيونية على أنه أهم حليف للصهيونية من غير اليهود، وخصص بلاكستون قبل وفاته أموالاً كثيرة لـ"لويس براندیس" لكي ينفقها في مساعدة اليهود على هجرتهم إلى فلسطين.

لويس براندیس ١٨٥٦ – ١٩٤١ م

Louis Brandis

كان لويس براندیس (١٨٥٦ – ١٩٤١ م) حقوقي وزعيم صهيوني في الولايات المتحدة الأميريكية، وُلِدَ في العام ١٨٥٦ م في لويسفيل في الولايات المتحدة لأبوين يهوديين هاجرا من أوروبا، درس الحقوق في جامعة هارفارد وتخرج منها وعمره عشرون عامًا حيث حصل على أعلى معدل درجات في تاريخ الكلية، عمل في حقل المحاماة في مدينة بوسطن ووقف بجانب الفقراء ولما استقر ماديًا صار يتولى بعض القضايا التي تهم الفقراء بدون مقابل، فذاع صيته وأصبح مسموعًا في المجتمع، وصار يطرح القضايا الهامة، وكان اليهودي الأول الذي يُعين في المحكمة العليا في الولايات المتحدة في العام ١٩١٦ م، ولما كان يعتبر عهد الرئيس ويلسون على وجه التحديد العهد المؤسس للعلاقات الأميريكية – الصهيونية، فرغم أن الحكومة البريطانية هي التي أصدرت وعد بلفور عام

١٩١٧م، غير أن صياغته أعدتها بشكل أساسي شخصيات صهيونية في الحكومة الأميريكية بالتنسيق مع بريطانيا، ويعود ذلك إلى تأثر الرئيس ويلسون الشديد بأفكار قاضي المحكمة العليا "لويس براندیس" صاحب الأفكار الصهيونية، "وقد قيل إن ويلسون كان يعتبر براندیس الرجل الذي يدين له بمستقبله السياسي"، لهذا لعب براندیس دورًا بارزًا في العمل الصهيوني، حيث انتخب بعد الحرب العالمية الأولى رئيسًا للجنة التنفيذية المؤقتة للشؤون الصهيونية، وكان من مؤسسي الكونجرس الصهيوني الأمريكي ورئيس اللجنة التنظيمية له، واستثمر علاقاته مع الرئيس الأمريكي ويلسون الذي قدم بركته لتصريح بلفور، زار براندیس فلسطين عام ١٩١٩ م حيث شارك في المؤتمر الصهيوني العالمي، ونشب خلاف حاد بينه وبين حاييم وايزمان حول كيفية تطوير الاقتصاد والاستيطان في فلسطين، لهذا قرر الاستقالة من كافة الوظائف المتعلقة بالصهيونية ولكنه بقي عضوًا في المنظمة، وساهم في إقامة الشركة الاقتصادية لأرض إسرائيل، وتوفي العام ١٩٤١م.

يرى الباحثون مثل "ماكسويل كودر" بأن أفكار بلاكستون ونشاطاته كان لها أثر كبير في ظهور الفكرة الصهيونية وجعل كثير من اليهود يؤيدون المنظمة الصهيونية، وقال آخرون بإن بلاكستون يُعتبر واحدًا من الأمريكيين القلائل الذين لعبوا دورًا رئيسًا في إنشاء وطن قومي لليهود.

آحاد هاعام Ahad Ha-am :

من أعمدة الفكر الصهيوني الذي ترك أثرًا عميقًا في الثقافة الصهيونية "آحاد هاعام"، في مقاله "الحقيقة من فلسطين" سنة ١٨٩١م، قال:

"كانوا عبيدًا في بلدان الدياسوبرا، وفجأة وجدوا أنفسهم وسط حرية بلا حدود، بل وسط حرية لا رادع لها ولا يمكن العثور عليها إلا في تركيا وحدها، ولقد ولَّدَ هذا التحول المفاجيء في نفوسهم ميلاً إلى الاستبداد، كما هي الحال حين يُصبح العبد السوء سيدًا، وهم يعاملون العرب بروح العداء والشراسة فيمتهنون حقوقهم

بصورة معوجة، ثم يوجهون لهم الإهانات دون مبرر كاف ويفاخرون بتلك الأفعال رغم كل ذلك. نحن نفكر بأن العرب كلهم من الوحوش الهمج الـذين يعيشـون كالحيوانات ولا يفقهون ما يدور"

(وثائق الصراع العربي الإسرائيلي)

آحاد هاعام ١٨٥٦ – ١٩٢٧ م

Ahad Ha-am

و"آحاد هاعام" كلمة عبرية معناها "واحد من الشعب" واسمه الحقيقي "أشير تسفي غينزبيرغ"، وكان يوقّع على مقالاته باسم "آحـاد هاعـام"، هـو أشـير تسـفي غينزبيرغ، المعروف بـ "آحاد هاعام"، وُلِدَ في العام ١٨٥٦ م في "سكفيرا" فـي أوكرانيا، عائلته غنية. والده عمل في التجارة، التحق بكُتَّاب البلدة فدرس فيـه المواضيع الدينية، واطلع على كتب تفاسير للتوراة والتلمود، ولما بلغ السـابعة

عشرة من عمره زوَّجه والده لفتاة من عائلة متدينة، ورغم هذا الزواج المبكر إلا أنه واصل دراساته للكتب الدينية، وفي الوقت نفسه بدأ يقرأ كتبًا لأدباء يهود غير متدينين أمثال شولمان، ولما زار أوديسا اطلع على مؤلفات الكاتب الروسي الثوري "بساريف" التي تركت أثرها على تفكيره، تقدَّم لامتحانات نهاية الدراسة الثانوية ثم تعمَّق في اللغة اللاتينية والرياضيات والتاريخ والجغرافيا، وحاول جاهدًا الانضمام إلى إحدى الجامعات في ألمانيا أو النمسا أو حتى في بلده، ولكن على ما يبدو أن الأجواء الجامعية لم ترق له، ورغم هذا الوضع انكب على المطالعة المتواصلة لكتب الفلسفة.

في عام ١٨٨٤م تعرف على جمعية محبي صهيون في مدينة أديسا بروسيا، وشرع بعد ذلك في كتابة المقالات، وهو الذي تأثر بأعمال بيساريف، من أشهر المقالات التي كتبها سنة ١٨٨٥م، "ليس هذا الطريق" ردًا على قرارات المؤتمر الصهيوني الأول، لقد دفعه المقال (ليس هذا الطريق) إلى تأسيس جمعية (أبناء موسى) (بني موشي) والتي عاشت ثماني سنوات (١٨٨٩-١٨٩٧)، وكان هو رئيسها ومنظّر خطوط عملها ونشاطها، إذ كان يرى أن الطريق هو في إحياء الثقافة اليهودية لكن جماهير الحركة الصهيونية كانت تُعارضه في هذا الرأي وفى رأيه القائل بإن استيطان فلسطين يأتي بأسلوب تدريجي وبحذر شديد.

وبالرغم من ذلك فإن "حاييم وايزمان" كان يستشيره أثناء مفاوضاته مع الإنجليز تمهيدًا لإصدار وعد بلفور، وأهم ما نشره مقال بعنوان "الدولة اليهودية والمشكلة اليهودية" سنة ١٨٩٧ م، قال فيه "لقد انقضت عدة أشهر منذ انعقاد المؤتمر الصهيوني لكن أصداؤه لازالت تتردد في الحياة اليومية وفي الصحافة، ومنذ أن عاد أعضاء الوفود وهم يبهرون أسماع الرأي العام بالمعجزات التي ستتم والشعب اليهودي متلهف إلى سماع هذه الآمال، ثم قال متنبئًا بما ستكون عليه هذه الدولة اليهودية في المستقبل:

"إن التاريخ يُحدثنا عن فلسطين أيام حكم هيرودس وأنها كانت دولة يهودية لكن ثقافتنا القومية كانت موضع احتقار، وقد بذل الحكام الرومان كل ما في وسعهم

لاقتلاع هذه الثقافة، وغرس الثقافة الرومانية مكانها، وهكذا ستكون هذه الدولة اليهودية الجديدة أنها ستنشر الموت وتجلب العار على شعبنا".

زار فلسطين عدة مرات وكتب مقالات أثارت ضجة عن المستوطنات منها مقال "حقيقة من أرض إسرائيل"، حَضَرَ المؤتمر الصهيوني الأول ولم يرشح نفسه للهيئة التنفيذية لأجل أن يظل حرًا للتعبير برأيه لمواجهة هرتزل ومستشاره ماكس نوردو، انتقل للعيش والعمل في بريطانيا وعمل مع حاييم وايزمان على إصدار وعد بلفور، وهاجر إلى فلسطين عام ١٩٢٢م وأقام في تل أبيب، دعا هاعام إلى الصهيونية الروحية، ودعا إلى إحياء الإنسان اليهودي، وإلى تحسين قيمهُ التي لحق بها خلل لوجوده في الشتات وفق تعبيراته ومن ثم إلى الوطن القومي اليهودي، فمِن أفكاره أن الدولة اليهودية هي ليست بداية الشعب اليهودي بل نهاية كل شيء، بمعنى تحقيق الحلم على أرض الواقع، ولتأسيس الدولة يجب تحضير الشعب وتربيته قوميًا وأدبيًا لمعرفة فكره وتراثه، توفى هاعام سنة ١٩٢٧م وتحوَّل بيته بعد ذلك إلى مجمع ثقافي ومكتبه.

ماكس نوردو Max Nordau:

من عمالقة الفلسفة الصهيونية، "ماكس نوردو"، مفكر وأديب يهودي، وُلِدَ في مدينة "بيست" بالمجر، اسمه الأصلي "سيمون ماكسيميليان سودفيلد" ثم غيَّره إلى ماكس نوردو، (وثائق الصراع العربي الإسرائيلي)، والده كان "جابرييل سودفيلد" حاخام وشاعر، تعلَّم ماكس العبرية عن طريق أبيه، لكنه ابتعد عن التقاليد اليهودية واتجه أكثر ناحية الثقافة الألمانية كما فعل تيدور هرتزل، عام ١٨٧٥م شرع نوردو في دراسة الطب في جامعة بودابست بالمجر ثم في باريس بفرنسا، وفي عام ١٨٨٣م نشر كتابه "أكاذيب حضارتنا التقليدية"، هاجم فيه الدين والحضارة باسم العلم والفلسفة الوضعية، هذا وقد صدرت له كتب أخرى حملت نقدًا لأدباء ومفكرين، فكان يدعو إلى تحرير العقل من الثقافات التقليدية.

ماكس نوردو ١٨٤٩ – ١٩٢٣م

اعتبر نوردو نفسه وهو في ذروة حياته الأدبية مواطنًا أوربيًا لا وطن له ولا قومية، فقبل تبنّيه العقيدة الصهيونية دعا إلى حل مشاكل أوروبا الاجتماعية بالعنف وعن طريق تصدير فائضها البشري (اليهود) إلى الشرق.

وفي عام ١٨٩٢م التقى هرتزل وأصبح بعد ذلك ساعده الأيمن، وكان لاعتناقه العقيدة الصهيونية فضل كبير في إظهارها بمظهر تقدمي، وقد ألقى نوردو الخطاب الافتتاحي عن وضع اليهود في العالم، وذلك خلال المؤتمر الصهيوني الأول (١٨٩٧ م)، واستمر على هذا المنوال حتى المؤتمر العاشر (١٩١١ م).

أيَّد نوردو مشروع الوطن اليهودي في شرق أفريقيا، لكنه قال عنه بإنه مجرد ملجأ لمدة ليلة واحدة، وهو يعني بأنه سيكون نقطة عبور لفلسطين، وبعد موت هرتزل عُرِضَتْ عليه رئاسة المنظمة الصهيونية العالمية، لكنه رفض لأنه كان متزوجًا من امرأة مسيحية وفضل أن يبقى مستشارًا سياسيًا لحلفاء هرتزل.

كان نوردو يرى أن الصهيونية ما هي إلا حركة لتوصيل يهود أوروبا إلى فلسطين بأسرع ما يمكن، وقد قضى حياته وهو يهاجم حركة أحباء صهيون التسللية التي وُلدت في روسيا، وهاجم دعاة الصهيونية الاثنية بشقيها الديني واللاديني.

يُعتبر نوردو من المفكرين اليهود الذين مدحوا الجيتو اليهودي، لأنه حمى اليهود وحفظ الشخصية اليهودية، لهذا هاجم الانعتاق الفكري، لأنه حطَّم الجيتو ولم يبقى إطارًا للهوية اليهودية، ومن هنا استخدم نوردو مصطلح اليهودي المارونو أو المُرائي الذي ينظر إلى نفسه كأنه أوروبي، لهذا اعتبر نوردو اليهودي المندمج منافقًا، وكان يرى بأن اليهود المندمجين في مجتمعاتهم يبالغون في وطنيتهم أكثر من الناس العاديين.

طوَّر نوردو صورة المارانو المجازية واستخدم صورة مجازية بجيولوجية عضوية فشبَّه اليهود بالبكتيريا؛ كائنات دقيقة لا تراها العين ولكنها في واقع الأمر تقوِّض المجتمع من الداخل وتَفْت من عضده، وذلك إن لم تُعرَّض للشمس أي إن لم تُرحَّل إلى أرض الميعاد.

كان نوردو من أكثر المفكرين الصهاينة إيمانًا بعدالة معاداة اليهود في أوروبا، وكان يرى أن الحل هو الصهيونية التي ستريح الجميع، لأنها ستنقل اليهود إلى وطن خاص بهم، وستمنحهم هوية جماعية لا علاقة لها بالأوهام الدينية، كون معاداة اليهود ناتجة من مجتمعات الحضارة الغربية كما أن المشكلة اليهودية نبعت من تلك المجتمعات أي حل المسألة اليهودية في إطار السياسة العالمية أي الإمبريالية.

قسَّمَ نوردو اليهود إلى أثرياء وحاخامات، وكلاهما لا تحتاجه الصهيونية لأنها البديل للاثنين، وأما ما يخص التمويل فسيقوم به أفراد الطبقة الوسطى والفقراء من اليهود، وهم ما الصهيونية بحاجة إليهم، لأنهم المادة البشرية التي ستستخدمها، هذا وقد أدرك نوردو تمامًا الطبيعة الاستعمارية العملية للدولة

الوظيفية الصهيونية، ولذا فلم يكف عن الحديث عن فائدتها وجدواها بالنسبة للقوى الاستعمارية.

في بداية القرن العشرين، حاول نوردو أن يعرض المشروع الصهيوني باعتبار أنه قادر على المحافظة على سيطرة السلطان العثماني على فلسطين لمواجهة حركة القومية العربية، وكانت هذه أول مرة يتعرض فيها للعرب (المؤتمر الصهيوني السابع - ١٩٠٥ م)، لكن نوردو توصل إلى قناعة بأن انجلترا هي القوة الاستعمارية الكبرى التي تستطيع أن تتبنَّى المشروع الصهيوني وتضعه موضع التنفيذ، وأن تشيِّد دولة وظيفية لها.

كان نوردو يشعر بأن العرب معارضون بالطبيعة للمشروع الصهيوني، فراح يفسر حركة القومية العربية بطريقة تُسيء إليها وتعمل على تغييبها، كأن يقول في الصحف التي ينشر فيها، بإن الثورة العربية في رأيه تمَّت بقيادة المسيحيين وبعض المسلمين المتعصبين الذين أثاروا مشاعر الفلاحين الجهلة، والقومية العربية وهمٌ، ولا توجد أمة عربية بمفهوم المدنية الأوربية، وإذا حاولوا مقاومتنا، فسوف يتضح لهم بسرعة أن قوتنا لا تقل عن قوتهم.

ورغم فهم نوردو كثيرًا لجوانب المشروع الصهيوني، إلا أنه لم يلعب دورًا قياديًا في الحركة الصهيونية بعد موت هرتزل، فقد ظل يتحرك في إطار الصهيونية الأساسية الشاملة قبل تهويدها، أي أنه صهيوني يهودي غير يهودي، يُعتبر نوردو الأب الروحي للصهيونية التصحيحية فقد كان يشجع الحديث العلني عن أهداف الصهيونية، ولم يعجبه فكرة التنازل عن شرق الأردن، فكان يرى أن نقل ٦٠٠ ألف يهودي مرة واحدة إلى فلسطين وشرق الأردن سيحسم الأمر، وهو في الحقيقة صهيوني يهودي غير يهودي كما أسلفنا، وربما كان يقصد أن ينقل الفائض اليهودي من أوروبا إلى فلسطين ثم يعود إلى اندماجيته.

في عام ١٩٢٣ م توفى نوردو، وبعد ثلاث سنوات تم نقل رُفاته إلى تل أبيب حيث أطلق اسم تلة نوردو على قسم من المدينة.

سيمون دبنوف Simon Dubnov:

من المفكرين اليهود الشرقيين "سيمون دبنوف"، الذي كان رئيسًا لمركز البحوث اليهودية اليديشية في شرق أوروبا، واليديشية نسبة إلى اللغة التي يتحدث بها اليهود الروس بالرطانة الألمانية، ودبنوف مؤرخ روسي يهودي صاحب فكرة قومية يهود الدياسوبرا.

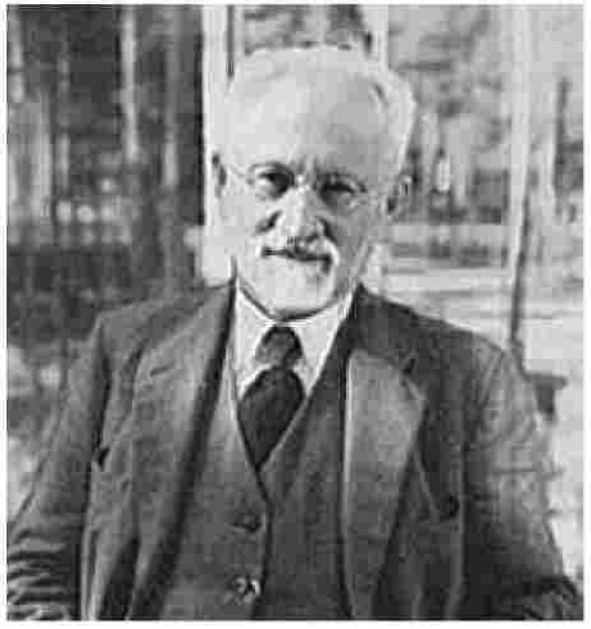

سيمون دبنوف ١٨٦٠ – ١٩٤١م

ولد سيمون دبنوف في مدينة مستسيسلو في بليروسيا وتلقى تعليمًا دينيًا عاديًا، لكنه سرعان ما ابتعد وهو في سن الشباب عن التقاليد اليهودية التوراتية وأبطل ممارسة الشعائر الدينية، قرأ عن العلمانية وأتقن العبرية والروسية بالإضافة إلى لغته الأصلية اليديشية، تنقّل بين عدة مدن روسية بين التجمعات اليهودية وانضم إلى جماعة "آحاد هاعام" (الصهيونية الثقافية العلمانية)، في عام ١٨٨٠ م استعمل وثائق مزيفة واخترق الحظر الذي كان مضروبًا على اليهود ومنعهم من

التنقل وذهب إلى مدينة بطرسبيرج، عمل دبنوف مدرسًا للتاريخ اليهودي في مدينة بطرس بيرج، وأصدر عدة أعمال عن تاريخ الجماعات اليهودية في شرق أوروبا، (وثائق الصراع العربي الإسرائيلي).

عام ١٩٢٢م هاجر إلى لثوانيا ثم إلى برلين بألمانيا، وفي عام ١٩٣٣ م بعد استيلاء النازيين على السلطة في ألمانيا انتقل إلى مدينة ريجا في لاتفيا، وبعد أن احتل النازي لاتفيا عام ١٩٤١ م كان دبنوف ضمن من جمعوا من اليهود وتم قتلهم في معسكر الاعتقال.

تأثر دبنوف بفكر الاستنارة الغربي والفكر المعادي للاستنارة، فرفض الديانة اليهودية لأنها تتعارض مع الحرية والتفكير العلمي، ولم يهتم بالنبوءات التوراتية عن الشعب المقدس وأرض الميعاد، واهتم بالمنهج الذي يأخذ بالمعطيات المادية والمعنوية، كان دبنوف ينظر إلى اليهود واليهودية باعتبارهما ظواهر اجتماعية وتاريخية، وكان يرى أن القومية ما هي إلا مجموعة من الأفراد ينظرون إلى أنفسهم على أنهم أمة، لهذا تأثَّر دبنوف بشكل رئيسي بفكرة دولة القوميات كما كانت روسيا وإمبراطورية النمسا حيث كل من تلك الإمبراطوريات تكونت من عدة قوميات لها خصوصيتها الدينية ولغتها الخاصة، لكن القوميات في الدولة تتفق في صنع القرار السياسي من خلال مؤسسات الدولة والتمثيل السياسي دون أن يكون هذا على حساب القوميات التي تعيش داخل حدود الدولة أو الإمبراطورية.

كان يحبذ دبنوف أن تكون الدولة الصهيونية في وقت ما على ذلك النمط، وهذا الطرح أو النموذج لتصور التيار الدبنوفي يختلف عما كان سائدًا في أوروبا الغربية في انجلترا وفرنسا وهولندا وما شابهها من دول حيث الحكم للقومية ذات الأصول الواحدة، راقت فكرة الدولة المتعددة القوميات لدبنوف لأن فيها خصوصية للقومية الواحدة، وفي نفس الوقت توجد حرية في الدولة الحديثة الجامعة.

كل أطروحات دبنوف كانت تقوم على أن يهود أوروبا الشرقية لهم خصوصية تختلف عن غيرهم من جماعات اليهود الأخرى، لكن خصوصيتهم لا تكمن في يهوديتهم العالمية وإنما في يديشيتهم الخاصة النابعة من كونهم أقلية داخل تشكيل حضاري شرقي أوروبي، فيهود اليديشية يشتركون في الخصائص مع اليهود الآخرين دون أن يفقدوا خصوصيتهم.

يرى دبنوف كما كثير من مفكري أوروبا في القرن التاسع عشر، بأن التاريخ الإنساني مرَّ بعدة مراحل من المادية إلي الروحية ومن البساطة الخارجية إلي التعقيد الداخلي، وقسَّم الأطر القومية إلى ثلاثة، القبلي، السياسي الإقليمي، المستقل الروحي، وهذه الأطر مترابطة بشكل عضوي، كان يرى دبنوف أن كل أمة تمر عبر هذه الأطر خلال فترة تحضرها، فالإطار القبَلي، حسب تصوُّر دبنوف، يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالطبيعة، الإطار السياسي أقل ارتباطًا بها، أما الإطار الروحي فهو مستقل عنها إلي حدٍّ بعيد، ويتضح أكثر ما يتضح في علاقة كل نموذج قومي بالأرض، يؤمن دبنوف بأن الشعب اليهودي شعب روحي فلا يحتاج إلى أرض، وهذا عكس الصهاينة الذين يصرون إلى العودة للأرض وإقامة دولة.

ودبنوف يتصور أن اليهود مروا بالمراحل الثلاث، القبائل العبرانية تجمعت في فلسطين وأقامت دولة، ثم فقد العبرانيون الدولة ثم الأرض، لكنهم حافظوا بطريقة ما على كيان حضاري متشعب ومتداخل مع حضارات أخرى، لكن بقاؤهم ليس معجزة تاريخية وهم يشكلون أمة لا دولة ولا أرض لها، وأصبح لهم ميزة أنهم غير مضطرين إلى استعمال العنف لأنهم ليسوا بحاجة لاستعماله، لأن الدولة القائمة على أرض هي من يمكن أن تلجأ لاستعمال القوة والعنف، لهذا كان لليهود فرصة لتطوير العناصر الروحية في حضارتهم، لم يخلو فكر دبنوف من الصواب فقد أثبتت الأيام بأن إقامة الدولة الصهيونية كان السبب في استعمال العنف ضد الفلسطينيين.

لاحظ دبنوف في عصره تفكك الجماعات اليهودية خصوصًا في روسيا، ولاحظ أن الهجرة اليهودية من روسيا أخذت وجهة الولايات المتحدة وإلى غيرها، ولاحظ

أن نسبة الاندماج عند اليهود المهاجرين إلى المجتمعات الجديدة عالية، وتصور أن يهود اليديشية سيتحولون إلى يهود روس مثلما صار عليه المهاجرون اليهود الذين اختار غالبيتهم وجهة الولايات المتحدة، وراحوا يندمجون في المجتمع الأمريكي وكذلك سيفعل معظم يهود العالم، فالولايات المتحدة تتيح لليهود ولغيرهم تطوير شخصياتهم كجماعات قومية، كون المجتمع الأمريكي هو مجتمع أقليات مهاجرة لكل منها تراث حضاري مختلف عن التراث الحضاري المشترك للأمة الجديدة.

ودبنوف بهذه الرؤية يدحض ادعاءات الصهيونية، وأنها ليست أكثر من وعاء ينتظر قدوم المسيح في إطار سياسي، ولقد أثبتت الأيام نبوءة دبنوف حيث اندمج كثير من يهود اليديشية بالمجتمع الروسي، وأبقوا على ما عندهم كأقلية قومية، كما اتجه كثير من المهاجرين إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وراحوا يندمجون في المجتمع الجديد ويحتفظون بخصوصيتهم في هذا المجتمع الأمريكي المتعدد الثقافات.

ولكن فات دبنوف أن يتنبأ بما أصبح يحدث من تطور في الزمن الأخير، التطور الذي أدى إلى ارتفاع معدلات الدمج والزواج المختلط والانصهار واختفاء أعضاء الجماعات اليهودية سواء في المجتمع الروسي أو الأمريكي، مجتمعات ما بعد التطور الصناعي والعلمنة، وبروز المجتمعات الحديثة المتشابهة في معظم الدول المتقدمة، التي غزتها العلمنة من أبواب كثيرة حتى صار المجتمع فيها مندمج مع الحركة التي تحكمها آلية المجتمع.

حينما كان يهم دبنوف بمغادرة روسيا في بدء رحلته إلى أوروبا الغربية، قال "إن الهدف من هذه الرحلة هو أكثر من خطة، إننا نود أن نفتح فلسطين ونعود إلى أرض الكيان السياسي اليهودي المستقل الذي سُرقَ منا قبل ألفي عام، فإن كان هذا أمل فهو ليس حلمًا، يجب أن ننشيء المستوطنات الزراعية في فلسطين، وننشيء المصانع والصناعة، وعلينا أن نطوِّر الصناعة، ونضعها في أيدي اليهود، وفوق هذا علينا أن نُعطي الجيل الجديد التدريب على القتال، وأن نمدهم

بالسلاح، وحينها سيأتي اليوم الذي يصبحون فيه والسلاح في أيديهم، سادة المنطقة".

إسرائيل زانجويل Israel Zangwill:

"إسرائيل زانجويل" روائي إنجليزي يُعتبر زعيم الصهيونية الإقليمية، وُلد في لندن وكان صهيونيًا نشطًا في انجلترا، حينما زار هرتزل لندن وجاء يُبشر بالمنظمة الصهيونية العالمية، كان حريصًا أن يلتقي زانجويل لكي يرتب له اجتماعًا مع قادة الجالية اليهودية في بريطانيا، كان زانجويل مقتنعًا بأن اليهودية لن تكون كما كانت في الماضي إذا خرج اليهود من الجيتو، وقد عالج هذا الموضوع في أعماله الأدبية.

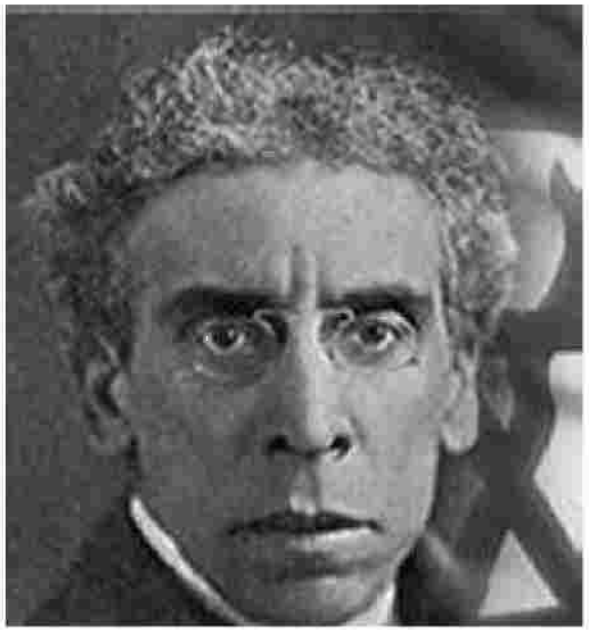

إسرائيل زانجويل

كتاب أطفال الجيتو الذي نشره عام ١٨٩٢م هو تاريخ إحدى الأسر اليهودية التي عاشت في الجيتو، ويقال إنه تاريخ أسرة "إسرائيل زانجويل" نفسه، الكتاب رواية بانورامية تتناول شخصيات يهودية عديدة كلها تفضل الهروب من الجيتو، ففي

الكتاب تناول زانجويل شخصيات يهودية عديدة كان كل همها أن تخرج من الجيتو، ومن أهم الشخصيات التي تناولها في كتاب أطفال الجيتو الشاعر بنحاس، وهو في الواقع صورة كاريكاتورية هزلية للشاعر "نفتالي إمبر" مؤلف نشيد "الهاتيكفاه" النشيد الوطني الإسرائيلي، هاتيكفاه ومعناها الأمل، وهو اسم نشيد الحركة الصهيونية.

من إنجازات زانجويل الأدبية الأخرى "كتاب أبناء الجيتو" الذي نشر أيضًا في عام ١٨٩٢م، وفيه يتحدث عن بعض الشخصيات التي يزعجها ازدواج الولاء والانتماء لعالمين مختلفين، الجيتو اليهودي والأغيار، والكتاب يتناول شخصيات يهودية تترك العقيدة اليهودية، مثل دزرائيلي وهايني ولاسال وشبتاي تسفي.

وأما رواية "حالمو الجيتو"، فقد نشرت عام ١٨٩٨م، وكانت تُعالِج موضوع الجيتو نفسه، وهي مليئة بشخصيات تبحث عن مهرب من الجيتو والقيم الدينية العتيقة التي تُهيمن عليه، أما رواية مآس جيتوية التي نشرت في عام ١٨٩٣م، فإنها تحكي قصة يهودي تزوج من امرأة مسيحية ولكنه لا يملك إلا أن يبقى يهوديًا في الخفاء (هذا ينطبق على زانجويل نفسه)، وروايته "ملك الشحاذين" عام ١٨٩٤م التي تتناول اليهود السفارد (يهود تركيا أصلاً) المقيمين في لندن قبل وصول يهود اليديشية (اليهود الروس)، ومن رواياته الأخرى "كوميديات جيتوية" ١٩٠٧م تلك التي تهتم بمشاكل الجيتو أيضًا.

لزانجويل موقف فريد ومتناقض لكنه واقعي ومتكامل، فهو ينتقد حياة الجيتو ويريد التخلص منه والتخلي عن الأشياء القديمة، لكنه أيضًا تراه معجبًا بالشخصية الجيتوية وفخور بها، لأنها حافظت على التراث والأصالة الثقافية للإنسان اليهودي، يمكن القول بإن رفضه لليهود واليهودية أكثر عمقًا بكثير من إعجابه ببعض جوانب الشخصية اليديشية، يتضح رفض زانجويل لليهود واليهودية حينما يتغنى في كتابه "الدين المقبل" الذي يتمنى فيه أن يأتي دين جديد يُعبر عن الديانتين، اليهودية والمسيحية وكذلك الحضارتين العبرية والمسيحية، وقد صدر له كتاب آخر ألّفه في أواخر أيام حياته اسمه "عقيدتي" نُشر في عام

١٩٢٥م، طالب فيه بيهودية غير يهودية، حتى يتم التوصل إلى عقيدة عالمية لكل البشر.

ألَّف زانجويل أيضًا مسرحيات، منها مسرحية "آتون الصهر" التي يتصور فيها الولايات المتحدة على أنها آتون إلهي للصهر، ستذوب فيه كل أجناس أوروبا وتندمج فيه، وتختفي فيه أيضًا كل الخصوصيات من ضمنها الخصوصية اليهودية، إن من أهم آلات الصهر التي يعنيها زانجويل هو الزواج المختلط، وقد كان زانجويل متزوجًا من امرأة مسيحية.

زانجويل ينظر إلى الولايات المتحدة على أنها الترجمة التاريخية النهائية لمثل عصر الاستنارة، التي ستريح الإنسان من عبء التاريخ وتريح اليهود من عبء الهوية، فقد اعتبر زانجويل وغيره من اليهود الذين استقروا في أمريكا بأن التراب الأمريكي هو أرض الميعاد بالنسبة لهم، هذا وقد صدرت لزانجويل عدة روايات أخرى ليس لها علاقة كبيرة بالموضوع اليهودي مثل "السيد" عام ١٨٩٥م وهي قصة صبي مهاجر من كندا ينجح في أن يصبح فنانًا شهيرًا، وله أيضًا رواية "عباءة إلياهو" عام ١٩٠٠م، وهي تحكي عن أحداث حرب البوير الأمريكية.

إن موقف زانجويل التوطيني يشبه تمامًا موقف "هرتزل" و"نوردو" ويهود غرب أوروبا بصفة عامة، الذين يعتبرون أنفسهم صهاينة وملتزمون بالصهيونية، ولكنهم يفضلون البقاء في أوطانهم، وأن اليهود واليهودية بالنسبة لزانجويل يمثلان له مشكلة تتطلب حلاً لا انتماءً، إن موقف زانجويل هذا ليس له تعريف إلا أنه صهيوني توطيني، وكان أن قدم زانجويل إلى اجتماع المكابيين عام ١٨٩٦م في لندن، وزار فلسطين عام ١٨٩٧م، وحضر المؤتمر الصهيوني الأول في نفس العام.

كانت توطينية زانجويل عميقة جدًا، وكان جادًا في فكرة التخلص من الفائض اليهودي في أوروبا، لذا فقد شجَّع كثيرًا وألقى بكل ثقله خلف مشروع شرق

أفريقيا لتوطين اليهود، المشروع الذي قال عنه مغريًا بريطانيًا لقبوله، بأن السكان البيض سيتضاعفون إذا ما نُفِذَ المشروع، وسيكون أكثر استقرارًا في المستعمرة البريطانية، فالاستعمار الاستيطاني بالنسبة إلى زانجويل يُشبه الزواج المُختلَط، وسيلة للتخلص من اليهود، ولتذويبهم في التشكيل الحضاري الغربي، ولذا حين رفض المؤتمر الصهيوني السابع ١٩٠٥م مشروع شرق أفريقيا، انشق زانجويل عن المنظمة الصهيونية وأسَّس "المنظمة الصهيونية الإقليمية" التي كانت تهدف إلى تأسيس إقليم يهودي (ليس بالضرورة في فلسطين)، بهدف إنقاذ وإغاثة اليهود خارج أية تصورات قومية يهودية.

تحمَّس زانجويل في إطار صهيونيته التوطينية، وتوجه يطلب العون من الأثرياء اليهود المندمجين (لورد روتشيلد ويعقوب شيف)، وحاول توطين بعض المهاجرين اليهود في الولايات المتحدة، ولكنه لم ينجح إلا في توطين بضع عائلات في ولاية تكساس.

حينما أعلن وعد بلفور، كان زانجويل من كبار المتحمسين لاستيطان فلسطين، والواقع أن هذا الوعد جعل المشروع الصهيوني جزءًا من التشكيل الحضاري، أو على وجه الدقة التشكيل الإمبريالي الغربي، وطالب زانجويل بتفريغ فلسطين من سكانها في أسرع وقت، فهو مثل "نوردو" و"جابوتنسكي" في عَجَلَة من أمره ويتمنى اختفاء اليهود حتى يستأنف حياته في غرب أوروبا كمواطن عادي، وقد وجَّه زانجويل النقد اللاذع للحكومة البريطانية لفشلها في تنفيذ ما جاء في الوعد بسرعة، ومن أقواله، "إن من واجب اليهود بالمستقبل أن يضيِّقوا الخناق على عرب فلسطين حتى يضطروهم إلى الخروج منها"، ومما قاله زانجويل أيضًا "لابد أن نُعِد أنفسنا لإخراج القبائل [العربية] بقوة السيف كما فعل آباؤنا، أو أن نكابد مشقة وجود سكان أجانب كُثر، معظمهم من المحمديين"، ويقول أيضًا "يجب ألا يُسمَح للعرب أن يحولوا دون تحقيق المشروع الصهيوني ولذا لابد من إقناعهم بالهجرة الجماعية"، لكنه مع هذا عاد واكتشف حقيقة الموقف في فلسطين، ووجد

أن المشروع الصهيوني سيرتطم بالسكان الأصليين، لهذا عاد مرة أخرى للحل الإقليمي، أي أن يتخلى اليهودي عن يهوديته ويسعى إلى الخروج من الجيتو.

كما كان زانجويل من المتحمسين لإنشاء الوطن الصهيوني في ليبيا، فقد كان المرجع الصهيوني الذي تولى الإشراف على المشروع المقترح في ليبيا، وهو من تعامل مع اللجنة الصهيونية التي زارت ليبيا لدراسة المشروع ميدانيًا، ذلك المشروع الذي كان سينفذ لولا أن الاضطرابات الداخلية قد حدثت في تركيا، وتم الإطاحة بالسلطان عبد الحميد الثاني، وتم إسدال الستار على مشروع ليبيا.

من أهم ما كتبه زانجويل مقالاته التي سماها "صوت القدس" التي نُشرت عام ١٩٢٠م، وكان أن كتب أيضًا خُطب ومقالات وخطابات ونشرها في عام ١٩٣٧م، لكن هذه الكتابات لم تُنشر إلا بعد وفاته، من أعمال زانجويل أيضًا أنه قام بترجمة أعمال "ابن جبيرول" من العبرية إلى الإنجليزية.

نفتالي إمبر Naftali Imber:

"نفتالي إمبر ١٨٥١-١٩٠٩م" هو شاعر يهودي كان يكتب بالعبرية واليديشية والإنجليزية، وُلد لأسرة يهودية حسيدية، وتلقَّى تعليمًا دينيًا، وكتب قصيدة وطنية نمساوية فكانت أول جائزة يحصل عليها في الأدب في العام ١٨٧٠ م، بعد وفاة والده زار عدة بلدان وقابل زعماء صهاينة من أمثال أوليفانت الصهيوني غير اليهودي الذي كان يحاول أن يبدأ حركة استيطانية بين اليهود، فعمل إمبر سكرتيرًا له وذهب معه إلى فلسطين عام ١٨٨٢ م.

نفتالي إمبر ١٨٥١-١٩٠٩م

كتب إمبر بالعبرية قصائد بعنوان "نجمة الصباح" والتي منها قصيدة هاتيكفاه، التي أصبحت فيما بعد النشيد القومي لإسرائيل:

"ما دامت روح اليهودي في أعماق القلب تتوق
ونحو الشرق تتطلع العيون لصهيون
أملنا لم يُفقد أبدًا أمل ألفي عام
أن نصبح شعبًا حرًا في وطننا
أرض صهيون وأورشليم".

ذهب إمبر إلى انجلترا حيث تعرَّف إلى "إسرائيل زانجويل"، ثم انتقل إمبر بعد ذلك إلى الشرق وتجوَّل فيه حتى وصل إلى بومباي ويُقال إنه تنصَّر (ويُقال إنه تنصَّر أيضًا بعض الوقت في فلسطين، وهذا ما قاله صديقه إسرائيل زانجويل)، انتقل إمبر بعد ذلك إلى الولايات المتحدة حيث عاش حياة بؤس وفقر وإدمان، وتزوج

من امرأة مسيحية، ترك إمبر بعد موته عدة دواويين من الشعر، وقد نُشر له ديوان شعر في نيويورك عام ١٩٠٥ م بعد مذابح كشينيف ضد اليهود في روسيا، وأهداه إلى إمبراطور اليابان التي كانت في حالة حرب مع روسيا.

بقيت سيرة حياة إمبر ذات دلالات رمزية وواقعية، فهو يهودي من شرق أوروبا وذهب إلى فلسطين مع صهيوني استيطاني غير يهودي، ويترك فلسطين بعد وفاة الصهيوني غير اليهودي، ورغم أن إمبر تلقَّى تعليمًا دينيًا، إلا أن إيمانه الديني تزعزع تمامًا ويتضح هذا في تَنصُّره بعض الوقت ثم رجوعه عن ذلك ثم زواجه من امرأة مسيحية ثم انشغاله بالقبَّالاه، لكن تهوُّد هذه المرأة بعد زواجها من إمبر يُبين مدى تَداخُل المسيحية اليهودية بعد أن تمت علمنتها من الداخل، كان إمبر ممن يبحثون عن الشهرة في سوق الأدب وعن الخلود.

ناحوم سوكولوف Nahum Sokolov:

أما "ناحوم سوكولوف ١٨٥٩ – ١٩٣٦م" فيقول في كتابه (تاريخ الصهيونية: "الصهيونية حقيقة بسيطة. يبدأ تاريخ إسرائيل بالصهيونية، ويُبين هذا التاريخ في الأزمة السحيقة طريق تحقيق الصهيونية، فالخروج من مصر كان مثلاً للجمع بين الهجرة واستعمار الأرض... والعودة من بابل كانت حدثًا عظيمًا مقابل هذا اللون من الغيبية القومية، التي تتجاوز مراحل التاريخ وتخلط بين المقولات الاجتماعية".

ناحوم سوكولوف، كان صحفيًا وكاتبًا يهوديًا بولنديًا، ومن زعماء الحركة الصهيونية والمؤرخ الرسمي لها، شغل ناحوم سوكولوف مناصب مختلفة في الاتحاد الصهيوني العالمي وكان رئيس الاتحاد بين السنوات ١٩٣٢ و١٩٣٥م، كان رافضًا للصهيونية حتى حضوره للمؤتمر الصهيوني الأول حيث تغير تفكيره، وصار من أكثر المؤيدين لها، ومن كبار المعجبين بتيدور هرتزل، وعرَّف الصهيونية بقوله: "ما هي الصهيونية؟ هي في جوهرها وغايتها فلسطين بكل

تأكيد، ولكنها في الوقت نفسه، كل ما هو أقوى وأعمق وأكثر حيوية في الديانة اليهودية في العالم أجمع".

ناحوم سوكولوف ١٨٥٩ – ١٩٣٦م"

نشر سوكولوف كتابًا سنويًا بالعبرية طوَّر من خلاله أسلوبًا عبريًا كان له أكبر الأثر في تطوير اللغة العبرية، ولكن أهم كتب سوكولوف كتابه الشهير "تاريخ الصهيونية" عام ١٩١٧م الذي يُعَدُّ أول تأريخ للصهيونية، غير أن اهتمامات سوكولوف الأدبية لم تحل دون أن يصبح زعيمًا صهيونيًا بارزًا، فقد شغل منصب السكرتير العام للمنظمة الصهيونية العالمية، وبنشوب الحرب العالمية الأولى أوفد إلى انجلترا مع حاييم وايزمان للحصول على تأييدها للحركة، كما قام بمهمة مشابهه في إيطاليا وفرنسا وبالفعل حصل على تصريح من فرنسا بتأييد الحركة الصهيونية، وفي نفس العام صدر وعد بلفور.

عام ١٩١٩ ترأس سوكولوف الوفد الصهيوني في مؤتمر الصلح في باريس (مؤتمر فرساي) فقدم برنامج المنظمة الصهيونية للحلفاء عن كيف يمكن تنفيذ مشروع الوطن القومي لليهود في فلسطين.

وعن الباحث الأردني "سمير سمعان": كتب سوكولوف يبرز الصلة الوثيقة بين محاولة إقامة الدولة العربية في الفترة بين (١٨٣١ - ١٨٤٠) بزعامة محمد علي باشا وولده إبراهيم باشا، وتبني الاستعمار الفكرة الصهيونية من قبل أن تنشأ منظمتها، حيث لمست بريطانيا احتمال أن ينهض العرب ويقيمون دولة قوية بزعامة مصر في المنطقة، فقال:

"ونشأت (بعد تدخل الدول الأوروبية في شؤون الدولة العثمانية)، مسألة مستقبل فلسطين، هل ستبقى بيد تركية أم هل ستفوز بها بريطانيا العظمى، وكان السائد في الرأي العام البريطاني ضم عكا وقبرص إلى الإمبراطورية البريطانية، فبريطانيا وقد احتلت موقع عكا الحصين كانت لا تضطر إلى السعي لضمان حرية الطريق إلى الهند من أي دولة أخرى، ثم أورد أمثلة عديدة على لسان ساسة بريطانيين نادوا علنًا باستيطان اليهود في فلسطين"، (كتابه تاريخ الصهيونية المجلد الأول ص١٠٤).

من ناحية أخرى، إن الأفكار الفاشية والنازية من ناحية والأفكار الصهيونية كلاهما هما وجهان لعملة واحدة، لأن جوهر فكرة الفاشية والنازية يقوم على تفوق عرق إنساني على ما عداه، وجوهر الفكر الصهيوني يقوم على أن اليهود هم شعب الله المختار، وأن غيرهم هم من الأغيار.

في عام ١٩٨٣م صدر كتاب "الصهيونية في زمن الديكتاتورية.. التاريخ الموثق لعلاقات الصهيونية والفاشية" للكاتب اليهودي "ليني برينر"، الذي أورد فيه الكثير من الوثائق عن التعاون بين الصهيونية والزعيم الإيطالي الفاشستي، فقد أصبح موسوليني بعد فترة مؤيدًا للصهيونية وأيدته بالمقابل القيادة الصهيونية بحماس، كان خمسة من مؤسسي حزبه من اليهود، كما نشرت الكاتبة الصهيونية

"بوندي" من اليهود الإيطاليين عن اجتماع زعماء الصهيونية مع موسوليني، فقالت، "قال الوفد الصهيوني من جانبه أن اليهود الإيطاليين سيظلون دائمًا على ولائهم لأرضيتهم الأصلية، ويمكنهم أن يساعدوا على إقامة علاقات مع الشرق من خلال التجمعات اليهودية هناك"، والتقى "حاييم وايزمان" رئيس المنظمة الصهيونية العالمية عام ١٩٢٣م مع موسوليني وكما التقيا ثانيًا في عام ١٩٢٦م في جو أفضل، وعرض على الصهاينة مساعدتهم في تقوية اقتصادهم، ثم راحت الصحافة الفاشية في طبع مقالات تحبذ الصهيونية في فلسطين، وبدأ الزعماء الصهاينة في زيارة روما، وظهر "ناحوم سوكولوف" الذي كان رئيسًا للجنة التنفيذية الصهيونية، وبدأ سوكولوف لقاءاته بالدوتشي موسوليني. وقد وصفت محادثات سوكولوف وموسوليني بأن الأول لم يمتدح موسليني فقط بصفته إنسانًا بل أعلن أن الفاشية لا يمكن أن تكون ضد السامية، وأن اليهود بصفة عامة لن يحاربوا ضد موسليني، لهذا شهدت تلك الفترة علاقة جيدة بين زعماء الصهيونية والدولة الإيطالية حتى أن اليهود رفعوا أعلام الدولة الفاشية في المراكز اليهودية الإيطالية.

مما قاله ناحوم سوكولوف، المنظّر والداعية والمؤرخ الصهيوني المعروف عن اغتصاب فلسطين، مقررًا حسم التناقض بين الصهيونية كحركة انبعاث روحي والصهيونية كحركة استعمارية: أن "تكون صهيونيين في استعمارنا وروحنا ودِيننا"، وهو بذلك يلحق كل من "ديفيد بن جوريون" الذي شبَّه المعارك العنيفة، والمذابح الجماعية التي نفذها الصهاينة ضد الفلسطينيين بتلك التي "شنّها المستوطنون البيض ضد الطبيعة الوحشية وضد الهنود الأكثر وحشية"، ومثل "تيدور هرتزل" الذي شبَّه الفكرة الصهيونية بأنها "فكرة استعمارية"، ولذا أرسل بمشروعه للسير "سيو رودس" ليضع ختم "الشرعية البريطانية" على هذا المشروع.

جيكوب كلاتزين Jacob Klatzin:

يُعتبر الكاتب الروسي الصهيوني جيكوب كلاتزين (١٨٨٢ – ١٩٤٨ م)، من أهم المنظرين اليهود، فهو ابن حاخام وعالم تلمودي ومن رجال الدين المعروفين، من مواليد بولندا وحاصل على الثقافة الدينية التقليدية، درس الفلسفة في سويسرا وألمانيا على يد هيرمان كوهين، وحصل على الدكتوراة من جامعة برن، هو أحد الكُتَّاب النشطين في الدوريات العبرية، ترأس تحرير دي فيلت بين عامي ١٩٠٩ و١٩١١ م، واشترك مع ناحوم جولدمان في تأسيس دار إشكول لنشر الكُتب العبرية، وساهم في تحرير الموسوعة اليهودية، وأصبح مديرًا للمكتب الرئيسي للصندوق القومي اليهودي بين عامي ١٩١٥ و١٩١٩ م، أقام في سويسرا بعد عام ١٩٣٣ م وغادر في عام ١٩٤١ م إلى أمريكيا بعد أن استولى النازيون على الحكم في ألمانيا، وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عاد إلى سويسرا ومات فيها. (الموسوعة الحرة **wikipedia**).

تُعتبر كتابات كلاتزكين من أهم وثائق الفكر الصهيوني وأكثرها وضوحًا، حيث تبدو في كتاباته معظم مقولات الصهيونية الدبلوماسية الاستعمارية بشكل واضح، وقد انطلق كلاتزكين في مقولته من أسس بجيولوجية مادية علمانية لا تَقْبل أي تجاوز للمادة أو التاريخ كظاهرة مادية، كما ينطلق من رفض عميق لليهودية يقترب من الكره، وهو يرى أن الجماعات اليهودية ليست جديرة بالبقاء، لأنها مشوهة تشويهًا مرعبًا جسدًا وروحًا، فالمنفى يُفسد شخصية الإنسان وكرامته ويُحوِّل اليهود إلى كائنات بشرية مُمزَّقة ومُحطَّمة وفاقدة لطبيعتها.

لهذا يرى كلاتزين أن الجماعات اليهودية كانت تستطيع التماسك قبل حركة التنوير نظرًا لوجود الدين اليهودي الذي كان بالنسبة إليهم بمنزلة هيكل المنفى، لكن الهيكل المتنقل قد تحطم بفعل الابتعاد عن الدين وفوران العلمانية في المجتمعات التي يقيم اليهود فيها خصوصًا أوروبا الغربية، ويرى أنه لا بد من بدء تاريخ جديد لليهود، فرفض الصهيونية الاثنية أو ما يُسمى "الدينية العلمانية"، لأن المقياس الديني يُعرِّف اليهودي بأنه من يعتنق اليهودية، والعلماني الذي يقال له الروحي يُعرِّف اليهودي بأنه من يتبنى القيم اليهودية، وكلا المقياسين ذاتي

يستند إلى إيمان الفرد وليس له صفة مادية، ويطرح كلاتزكين، بدلاً من ذلك، صيغته على طريقة هرتزل التي يُسميها التعريف العلماني، فيرى أن اليهودي هو المُشارك فقط في التاريخ اليهودي بالمعنى المادي الذي ينشد الاستمرار في هذا التاريخ.

بهذا يكون كلاتزين قد طرح مقياسًا موضوعيًا وذاتيًا في نفس الوقت، ويُضيف عنصرين موضوعيين آخرين لتحقيق الهدف، هما الأرض القومية واللغة القومية، لأن بدونهما لا معنى للقومية، والقومية هنا لا تحقق نفسها إلا من خلال الدولة اليهودية، ويرى أن المهم هو إقامة الدولة حتى تتحقق المضامين التي تضفي لونًا قوميًا، لأن استعمار الأرض غاية في حد ذاته وبها تتحقق الحياة القومية الحرة، ويصير اليهود بذلك شعبًا طبيعيًا ويستمر في حياته القومية على أرضه، لأن الأرض هي التي تحدد حياة الأمة واللغة وليس الأفكار الدينية أو الثقافية، اعتبر كلاتزين أن الاهتمام بالأمور الدينية والروحية هو نوع من أنواع المرض.

هذا، وتنبأ كلاتزكين بأن الانتماء اليهودي مع الأيام سيصبح انتماءً عاديًا طبيعيًا قوميًا صِرفًا لا علاقة له بالدين واللغة، وسينتهي الأمر باليهود إلى أن تكون الأرض واللغة هي كل ما لهم وليس المضمون الديني أو الأخلاقي كما كان اليهود في السابق أو ما كان سببًا في تشتيتهم، يقول كلاتزين إن من يقول غير ما سبق فكأنه يحجب النور عن الذي أتى به هرتزل.

ويتساءل الفيلسوف كلاتزين، ما مصير الجماعات اليهودية في العالم، فهو كالعلمانيين مثل هرتزل ونوردو وجابوتنسكي، كان يرى ضرورة إخلاء أوروبا من يهودها، وضرورة تصفية الدياسبورا (يهود العالم) تمامًا، لأن حياة يهود المنفى مؤقتة، فأهميتها تكمن فيما تخدم فقط ما يمكن أن يتفق مع مشروع استيطان فلسطين، من وجهة نظره أيضًا، أن حياة المنفى لا تستحق الإبقاء عليها كغاية في حد ذاتها، لكنها تستحق البقاء فقط إن كانت واسطة انتقال إلى فلسطين بمعنى أن يهود المنفى يجب أن يُركز على استخدامهم لمد العون لمصلحة الاستيطان، ولأجل الاستفادة منهم، يجب عمل فواصل بينهم وبين الشعوب التي يقيمون بين

ظهرانيها.. هكذا كان يرى كلاتزين، فمع الوقت سيَضعُف الوجود اليهودي في العالم بالتدريج، وسيظهر نمط يهودي جديد مختلف تمامًا عن نمط يهود العالم، وهذا سيؤدي إلى تقسيم اليهود إلى قسمين، داخلي وخارجي.

لقد ذهب كلاتزكين متفائلاً لرؤيته بأن قال، إن يهود العالم سيختفون بعد انتهاء هذه المرحلة المؤقتة، ولاحَظ أن عملية اندماج اليهود في المجتمعات الغربية كانت قد بدأت وأخذت وتيرتها تتصاعد، وصارت عدوى الاندماج تصيب قطاعات كبيرة وبدا تأثيرها أكثر عمقًا، وسوف تتكفل هذه العملية بتصفية يهود العالم فيتحقق التمييز بين يهود الخارج ويهود إسرائيل، وبين بصورة أكثر دقة علاقة المستوطنين الصهاينة في فلسطين بالجماعات اليهودية في العالم، فاعتبر أن دور يهود العالم هو أن يكونوا أتباع للدولة الصهيونية يعطونها العون والمساعدة ويتناقصون مع الأيام بالاندماج في أوطانهم وبالرحيل إلى إسرائيل حتى يختفون من التاريخ.

هذا، وقد أدرك كلاتزكين أن هناك صهيونيتين (توطينية غربية واستيطانية شرقية)، وأشار إلى ذلك في كتاباته كثيرًا، فقد قال في أحداها، مجموعة الحدود (١٩١٤ م)، قال "إن هرتزل لم يظهر نتيجة وعي قومي يهودي وإنما ظهر نتيجة وعي إنساني عالمي"، وهو يعني الوعي الغربي، فالصهيونية بين اليهود الغربيين تتغذى بعدد من العوامل الإنسانية العلمانية غير القومية وليس على الديانة اليهودية، فإيمان الصهيوني هو إيمان بقوة الخير والجمال أي بالقيم العلمانية التي لا علاقة لليهودية بها.

خلاصة القول إن كلاتزين يرى أن الصهيونية بالنسبة للغرب تعني الانتماء للحضارة الغربية، وللشرق تعني أن صهيونية يهود الشرق مرفوضة لأنها تعتمد على اليهودية الدينية والاثنية، ومع ذلك فرغم أن كلاتزين تحدث كثيرًا عن يهود المنفى ووجوب تصفيتهم، إلا أنه عاش خارج فلسطين في سويسرا والولايات المتحدة وألمانيا، عالم القيم الغربية، ومات في سويسرا معظم كتابات "جيكوب

كلازين" جمعت في كتابه الذي سماه "تخوم"، من أهم أعمال كلاتزين "معجم للمصطلحات الفلسفية العبرية".

حاييم وايزمان Haim Weizman :

عن الموسوعة الحرة wikipedia، يُعَدُ "حاييم وايزمان" أشهر الشخصيات الصهيونية بعد هرتزل، وقد لعب الدور الأهم في استصدار وعد بلفور الشهير عام ١٩١٧م، وكان رئيسًا للمنظمة الصهيونية العالمية منذ عام ١٩٢٠م وحتى عام ١٩٤٦م، ثم انتخب كأول رئيس لدولة إسرائيل عام ١٩٤٩م.

حاييم وايزمان ١٨٧٤م – ١٩٥٢م

وُلِدَ "حاييم وايزمان" في بلدة "موتول" في ولاية "بنسك" إحدى ولايات روسيا البيضاء عام ١٨٧٤م، كان والده من وجهاء موتول المتدينين وكان يعمل تاجرًا للأخشاب يقوم بتقطيعها من الغابات ثم ينقلها بعد ذلك إلى الموانئ الروسية لتصديرها.

بدأ حاييم وايزمان حياته الدراسية في معبد البلدة حيث درس مبادئ الدين والتاريخ اليهوديين واللغة الروسية ولغة "اليديش" التي كان يتحدث بها يهود روسيا، ثم أرسله أبوه إلى مدينة "بنسك" لتلقي تعليمه العالي هناك متخصصًا في الكيمياء، وأكمل دراسته في مدرسة "البولتيكنيكوم" الألمانية التي كانت تُعتبر أشهر معاهد تدريس الكيمياء في أوروبا آنذاك وحصل منها عام ١٨٩٩م على درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف، وفي عام ١٩٠١ م اختارته جامعة جنيف للعمل بها محاضرًا مساعدًا، وفي عام ١٩٠٤ م أصبح أستاذًا بجامعة مانشستر في بريطانيا.

تزوج حاييم وايزمان من "فيرا" وأنجب منها ولدين هما بنيامين وميخائيل، وقد توفي الأخير في حادث تحطم طائرة أثناء الحرب العالمية الثانية، آمن وايزمان بضرورة إنشاء وطن قومي لليهود يحفظ لهم هويتهم وكيانهم من الذوبان في المجتمعات التي كانوا يعيشون فيها، وقد وهب علمه وجهده وماله لتحقيق هذا الأمر، وكان يسعى دائمًا إلى التقريب بين الفرقاء اليهود وجمع كلمتهم ومحاولة التنسيق بين جهودهم لخدمة الهدف الأعلى وهو إقامة الدولة، كان من منهج وايزمان في العمل السياسي استعمال كافة الوسائل المتاحة لتحقيق الهدف، فاستعمل الدبلوماسية والعلاقات الشخصية ووسائل الإعلام والمال والتنظيم الدقيق للجماعات والمنظمات الصهيونية، ثم الوسائل العسكرية لتحقيق ما يحلم به اليهود، وبالفعل نجح في ذلك عام ١٩٤٨ م، هذا ويعتبر وايزمان أول من حوَّل مسار الحركة الصهيونية إلى مجال الاستيطان والتعمير بدلاً من سياسة المفاوضات والاتفاقية التي كان هرتزل يحصر تفكير الحركة فيها، وحصل وايزمان على وعد بلفور الذي بنى عليه اليهود دولتهم.

بدأت اهتمامات وايزمان بالسياسة في وقت مبكر حيث كان يرفض فكرة اندماج اليهود في أوروبا حتى لا يفقدوا هويتهم وكيانهم، رغم أن هذه الفكرة كانت تسيطر على معظم اليهود آنذاك خوفًا من الاضطهاد الذي كانوا يشعرون به، وأثناء دراسته في مدرسة "البولتيكنيكوم" كان طالبًا مميزًا ونشيطًا وسط الطلاب

اليهود في ألمانيا ونشط في إقامة علاقات بينه وبين غيره من الطلاب في الجامعات الأوروبية المختلفة.

كلّف المؤتمر الصهيوني الثاني حاييم وايزمان بتشكيل الوفد الروسي لحضور المؤتمر، وفي عام ١٩٠١م كلّفه بحمل اليهود على شراء أسهم البنك اليهودي الدولي وبنك الاستعمار اليهودي، وبزغ نجمه داخل المؤتمر واختير عضوًا في الحركة الصهيونية، كانت أهم إنجازات وايزمان خلال الحرب العالمية الأولى حيث ساعدت اكتشافاته العلمية وبالأخص مادة "الأستون" في تقربه من القيادات السياسية والعسكرية البريطانية التي راح يلح عليها في استصدار قرارًا بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين فكان وعد بلفور عام 1917م.

كانت المرة الأولى التي سافر فيها وايزمان إلى فلسطين عام ١٩٠٨ م حينما اتهمه خصومه السياسيون بأنه يجاهد من فوق المنابر بالكلمات ولا يعرف شيئًا عن أوضاع اليهود هناك ولا يتحمل العيش وسطهم، ووجد بعد سفره أن اليهود في فلسطين يعملون في مزارع المليونير اليهودي "روتشيلد" وليس عندهم روح المغامرة ويغلب عليهم التواكل، فلما عاد مرة أخرى إلى بريطانيا قرر العمل بأسلوب مختلف يعتمد على تشجيع الهجرة إلى فلسطين على أن يعتمد اليهود على أنفسهم وسواعدهم في العيش هناك.

والمرة الثانية التي سافر فيها إلى فلسطين كانت في عام ١٩١٨ م، ضمن وفد صهيوني قررت الحكومة البريطانية إرساله إلى هناك، لدراسة الأوضاع على الطبيعة في ضوء تصريح بلفور، وقد نصحه الجنرال اللنبي قائد القوات البريطانية في فلسطين بزيارة الأمير "فيصل ابن الشريف حسين" أمير مكة وقائد الجيش العربي وقتئذ، فقابله وربط بينهما علاقة استمرت مدى الحياة، وفي تلك الزيارة وضع حجر الأساس للجامعة العبرية التي افتتحت بعد ذلك بسبع سنوات ١٩٢٥ م.

قال لورد "باسفيلد" عن حاييم وايزمان، "إذا كان لورد روتشيلد لـــه الفضـــل فـــي صدور وعد بلفور عام ١٩١٧م، فإن حاييم وايزمان له الفضل في جعل الـــرئيس الأمريكي هاري ترومان يعترف بإسرائيل عـــام ١٩٤٨م، وأن الصـــراع العربـــي الصهيوني غير عادل، لأن اليهود كان لهم حاييم وايزمان، والعرب ليس عنـــدهم مثله". (كتاب الحصار – كونر كروز أبريان)

بعد موت تيدور هرتزل عام ١٩٠٤ م، أصبح وايزمان بالتدريج أعظم صوت فـــي عالم الصهيونية، فهو عكس هرتزل الذي كان يصادق القادة فقط، كان وايزمـــان قريبا من الناس العاديين ومن كبار الساسة والقادة في انجلترا، كانـــت علاقتـــه متينة مع جيل "ديفيد لويد جورج" و"آرثر بلفور" و"ونستون تشرشل"، وكذلك مـــع حزب العمال في البرلمان البريطاني مثل "هربرت صـــموئيل"، كمـــا أن وايزمـــان استطاع أن يبني علاقة مع فقراء اليهود في بريطانيا، هذا عوضًا عن الشخصيات البارزة، وحصل وايزمان على ثقة دوائر السلطة في بريطانيا حينما لبى الطلـــب بتوفير كميات من مركب السائل الشديد الاشتعال، الذي كان أحد عناصـــره مـــادة "الأستون" الذي اخترعه وايزمان، والذي كان يلزم لصناعة الـــذخيرة العســـكرية التي أفادت بريطانيا كثيرًا في الحرب.

حينما اندلعت الحرب العالمية الأولى وانضمت تركيا بجانب ألمانيا، دعا وايزمـــان بريطانيا وفرنسا باقتسام التركة العثمانية كمدخل لبداية تحقيق الـــوطن القـــومي اليهودي، وهنا يتبين كيف كانت تتشكل المصالح بين الصهيونية والدول الغربية.

حينما طلب "ديفيد بن جوريون" من "حاييم وايزمان" أن يكون رئيسًـــا لإســـرائيل، قبلَ وايزمان المنصب بلا تردد، إلا أنه أدرك متأخرًا بأن هذا المنصب ما هـــو إلا منصب بروتوكولي احتفالي وليس أكثر، توفي وايزمـــان فجـــأة عـــام ١٩٥٢ م، واعتبر من أكثر الزعماء اليهود الذين تركوا أثرهم في الصهيونية الحديثة.

اتفاقية فيصل وايزمان:

اتفاقية فيصل وايزمان، وُقِّعَتْ من قِبَل الأمير "فيصل" ابن الشريف حسين مع حاييم وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية في مؤتمر باريس للسلام عام ١٩١٩م، يُعطي بها لليهود تسهيلات في إنشاء وطن في فلسطين والإقرار بوعد بلفور، وقد نصت على (انظر الوثائق في نهاية الكتاب للاطلاع على نص اتفاقية فيصل – وايزمان)

هذا، ومن المعلوم أن وايزمان كان قد رفض في عام ١٩٠٣ م فكرة اختيار أوغندا مكانًا بديلاً لليهود يُنشئون عليه دولتهم بعيدًا عن فلسطين. وقال عام ١٩٠٦ أثناء مقابلته جيمس آرثر بلفور، "إن اليهود يعتقدون أن استبدال فلسطين بأي بقعة أخرى في العالم نوع من الكفر، فهي أساس التاريخ اليهودي، ولو أن موسى نفسه جاء ليدعو إلى غيرها ما تبعه أحد، وسيأتي اليوم الذي سننجح فيه في استعادة بلادنا، فهذا أمر لا شك فيه".

انقسمت الحركة الصهيونية بعد فكرة أوغندا والمؤتمر الصهيوني السابع عام ١٩٠٧ م إلى قسمين: الصهيونية السياسية التي كانت تسعى للحصول على تصريح من السلطان العثماني قبل التفكير في العودة إلى فلسطين، والصهيونية العملية التي عملت على إحياء اللغة العبرية، والاهتمام بالناحية الروحية وخلق واقع صهيوني في فلسطين.

وقد نص صك الانتداب البريطاني في فلسطين في مادته الرابعة على "إقامة وكالة يهودية معترف بها لتقديم النصح للإدارة البريطانية، والتعاون معها في الميادين الاقتصادية والاجتماعية وغيرها فيما يتعلق بتأسيس الوطن القومي اليهودي مع اعتبار الجمعية الصهيونية القائمة هي الوكالة اليهودية حتى يتم تشكيلها"، فدعا وايزمان المنظمات اليهودية العالمية للاجتماع عام ١٩٢٩ م لانتخاب أعضاء الوكالة وتم الاجتماع وانتخبت الوكالة وظهرت إلى الوجود في العام نفسه وأصبحت تتحدث باسم اليهودية العالمية.

وافق وايزمان على الكتاب الأبيض الذي أصدرته الحكومة البريطانية عام ١٩٣٠م

بعد اتصالات هادئة أجراها مع رئيس الحكومة رمزي ماكدونالد على السماح بهجرة ٤٠ ألف يهودي إلى فلسطين عام ١٩٣٤ و٦٢ ألفا عام ١٩٣٥، وحصل بذلك على خطاب بالموافقة من ماكدونالد فأعلن موافقته على الكتاب الأبيض لكن المؤتمر الصهيوني رفض ذلك، وطالب بوضع مواثيق تضمن ما أسماه بعدم التنازل ونصحهم وايزمان بالعمل وبألا يضيعوا أوقاتهم في مثل هذه المواثيق لكن المؤتمر رفض وأسقط وايزمان وانتخب مكانه سوكولوف للرئاسة، لكن وايزمان عاد ونجح في الانتخابات التي أجريت عام ١٩٣٥ م.

في هذه الأثناء اختير وايزمان مستشارًا كيميائيًا فخريًا لوزارة التموين التي كان يرأسها "هربرت موريسون" وخصص له معمل يجري فيه أبحاثه وتجاربه وبدأ تجاربه في إنتاج البنزين الصناعي عن طريق التقطير وعن عمليات التخمير واستخراج الكحول والمطاط الصناعي.

قال حاييم وايزمان في مذكراته، "إن إنشاء الكيان السعودي هو مشروع بريطانيا الأول.. والمشروع الثاني من بعده إنشاء الكيان الصهيوني بواسطته، وإنه يتمنى بعد انتهاء الحرب مساعدة "عبد العزيز آل سعود" في أن يصبح سيدًا على الشرق على ألا يعارض في تحقيق أهدافه"، وحينما غادر وايزمان بريطانيا عام ١٩٤٢ م لتلبية دعوة من الولايات المتحدة للإقامة بها لمواصلة إنتاجه من المطاط الصناعي، قال له تشرشل وهو يودِّعه، "أريدك تعلم يا وايزمان إنني وضعت مشروعًا لكم يُنفَّذ بعد نهاية الحرب (الحرب العالمية الثانية) يبدأ بأن أرى ابن سعود سيدًا علي الشرق الأوسط وكبير كبرائه، علي شرط أن يتفق معكم أولاً، ومتى قام هذا المشروع، عليكم أن تأخذوا منه ما أمكن وسنساعدكم في ذلك، وعليك كتمان هذا السر، ولكن انقله إلي "فرانكلين روزفلت"، وليس هناك شيء يستحيل تحقيقه عندما اعمل لأجله أنا، و"روزفلت" رئيس الولايات المتحدة الأمريكية".

وفي عام ١٩٤٧ م وأثناء إقامة وايزمان في الولايات المتحدة عرضت بريطانيا القضية الفلسطينية برمتها على الأمم المتحدة، وركز وايزمان جهده لمتابعة

مشروع تقسيم فلسطين كما عرض آنذاك، و قد لعب وايزمان دورًا رئيسيًا في قيام إسرائيل، فقد اتفق وايزمان ورئيس الولايات المتحدة الأميريكية ترومان على خطة التقسيم التي ستعمل الولايات المتحدة بثقلها على إقرارها في داخل أروقة الأمم المتحدة، واتفق معه على أن صحراء النقب ستكون تابعة لإسرائيل بعد أن أثبتت الأبحاث العلمية وجود المياه الجوفية بها وعلى أن يكون لإسرائيل منفذ على البحر الأحمر.

وصدر قرار التقسيم بالفعل في ٢٩ نوفمبر عام ١٩٤٧م بموافقة ٣٣ صوتًا ضد ١٣ صوتًا، وقبل اليهود القرار على الفور لأنه أعطاهم الأرض التي كانوا يحلمون بها، بينما قاوم العرب هذا القرار، ولكي تتجنب واشنطون الغضب العربي والإسلامي تحايلت على الوضع فقررت في ١٩ مارس عام ١٩٤٨م، إعادة النظر في الأمر، وعرض الموضوع على الجمعية العامة للأمم المتحدة لاتخاذ قرار بوضع فلسطين تحت الوصاية الدولية بمجرد انتهاء الانتداب يوم ١٥ مايو ١٩٤٨م، لكن رد وايزمان كان قاطعًا "إنني لا أقيم وزنًا لخرافة القوة العربية العسكرية ولابد لليهود من إعلان استقلالهم في اليوم التالي لانتهاء الانتداب، هذه هي الخطوة العملية للخروج من هذا الموقف"، وبالفعل في ١٤ مايو ١٩٤٨م أعلن بن غوريون قيام الدولة اليهودية واعترفت بها على الفور الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي.

لقد كان وايزمان علمانيًا، وكان يُدرك علمانية الحضارة الأوروبية، ويُدرك أيضًا تلاقي المصالح الإمبريالية والصهيونية، فدولة اليهود تحتاج إلى حماية وبريطانيا تحتاج إلى قاعدة في المنطقة، أي أن وايزمان كان يدرك أن الدولة الصهيونية دولة وظيفية، وقد كان وايزمان من المطالبين بإدخال الصفة الإثنية على الصيغة الصهيونية الأساسية الشاملة، وقد كان على خلاف مع "فلاديمير جابوتنسكي" الذي كان يتبنى الحد الأقصى ويُعلن دائمًا عن الأهداف، ويُسجل لوايزمان أنه وسَّع الوكالة اليهودية لتضم يهودًا ليسوا صهاينة حتى يدعون بين جماعاتهم للمشروع الكبير.

ملكية الأراضي في فلسطين حسب قرار التقسيم عام 1947م

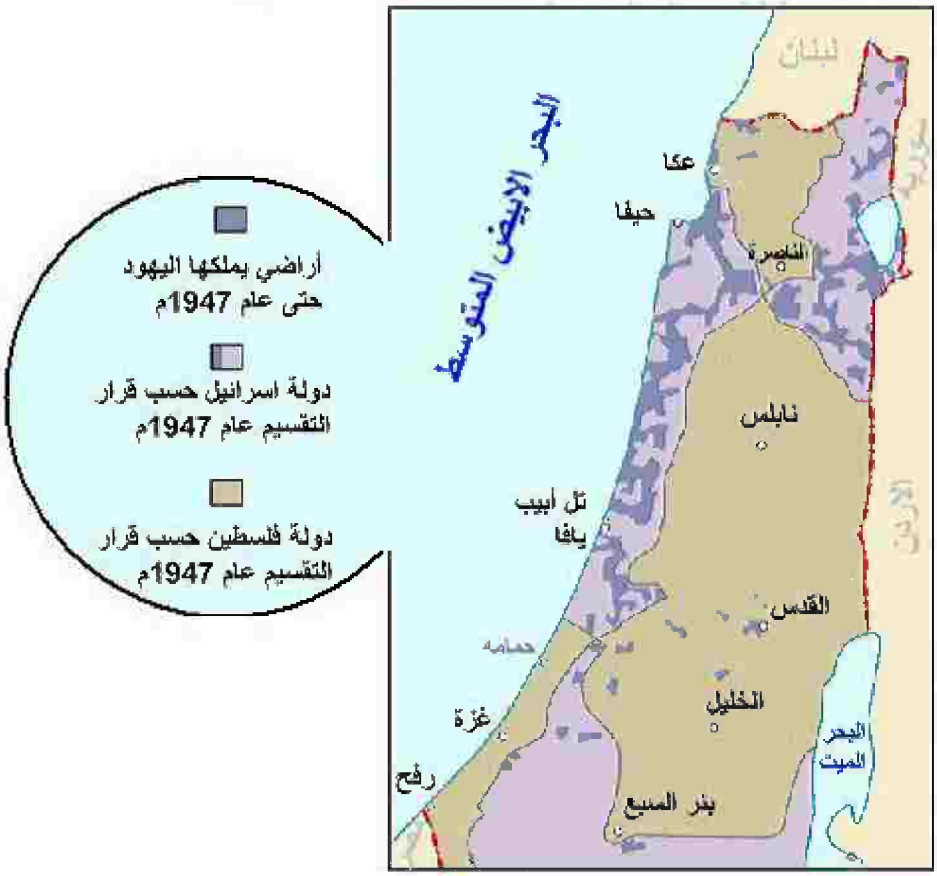

يقال إن وايزمان حينما عرف عن طرد العرب من مدنهم وقراهم عام ١٩٤٨م قال عن ذلك، إنها معجزة أدَّت إلى تطهير أرض إسرائيل، وهذا يدل أن وايزمان كان يتحرك داخل إطار حلولي بدون إله كونه علماني، فحينما عُرض عليه أن يكون اليهود في فلسطين في وضع الأقلية، وعليهم بأن يتعايشوا مع العرب الفلسطينيين، تمتم بكلمات ذات نسق حلولي مثل، "الرب سيضع يده مرة ثانية ليستعيد بقية شعبه ويرفع راية لكل الأمم، وسيجمع المشردين من إسرائيل وسيجمع المشتتين من يهودًا من أركان الأرض الأربعة".

كان وايزمان سياسيًا محنكًا وماكرًا، فقد كان يُعلن ما لا يضمر، وكان يراوغ كثيرًا في خطابه السياسي المُعلن لأي جهة أو فريق، كان يقول مثلاً بإنه ليس من الضرورة أن يكون اليهود أكثرية في فلسطين وهو يعني العكس، لأن أفعاله تكون في العادة غير أقواله، وربما كان يعلن مثل تلك الشعارات لأجل عدم إثارة مسئولي الإمبراطورية البريطانية التي تهتم في العادة بمصالحها العليا والبعيدة أحيانًا مع العرب، ووايزمان في نفس الوقت حينما يُعلن قبوله المراوغ أن يكون اليهود أقلية في فلسطين، فإنما هو في نفس الوقت يُغضب زعماء الحركة الصهيونية الآخرين، الذين سمعوا منه سابقًا عن مواقفه المتشددة بأن يكون اليهود أكثرية في فلسطين| في عام ١٩٣١م كلَّفه هذا الأسلوب المراوغ أن اهتزت ثقة الصهاينة به فخسر الانتخابات وتخلى عن رئاسة الوكالة اليهودية، ومع صعود هتلر للسلطة، زاد عدد المهاجرين اليهود إلى فلسطين وأعيد انتخاب وايزمان لرئاسة الوكالة اليهودية عام ١٩٣٥م.

وفي عام ١٩٤٨ اختير وايزمان رئيسًا للمجلس الرئاسي المؤقت، وفي عام ١٩٤٩ انتُخِبَ كأول رئيس للدولة الإسرائيلية، وقد ألَّف وايزمان في عام ١٩٤٩ كتابه الذي يتضمن سيرته الذاتية "التجربة والخطأ" وبعد صراع مع المرض توفي عام ١٩٥٢ م عن عمر يناهز ٧٨ عامًا.